ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1091 - الجمعة 13 شوال 1425 هـ - الموافق 26 نونبر 2004

القرآن دستور الخالق لإصلاح الخلق

الأخلاق الحميدة مجلبة للمحبة والسلام

لقد كثر التنافر بين بني الإنسانية - ويا للأسف -مما سبب في ذكر البعض للبعض منها بما لا يليق، وأحدثت هذه الظاهرة عدم الاستقرار في النفوس سخرت لها وسائل إعلامية حركتها إغراءات مادية نتيجة تخطيط مبيّت لا يريد للبشرية خيرا فيما نشاهد ونقرأ ونعيش، وصار كل بلد - قوي كان أو ضعيف - يتوجس من ظاهرة العنف وعدم الاستقرار خيفة دون أن يتسبب في ذلك ولا يسعى إليه بل يعمل كل ما في وسعه لجلب الأمن والاستقرار واطمئنان النفوس ومع ذلك فهو في أشد الحذر خوفا من عدوى تصل بلده أو تمس بعض شرائح مجتمعه... وهذه الظاهرة العنيفة التي وصل تيارها الإعلامي الإنسانية، جعلتنا نعيش من حين لآخر اتهام البعض للبعض، بل ونرى كذلك عبر وسائل الإعلام المنظورة والمسموعة والمكتوبة مشاهد تقشعر منها الجلود يقوم بها الإنسان لإبادة شريحته الإنسانية، وتتنوع آلام البشرية من قارة إلى قارة، والذي يؤدي الثمن هو فصيلتنا الإنسانية التعسة مما تواجهه. أفلا يحسن بنا أن نراجع أنفسنا ويرحم القوي الضعيف منا ونعانق العدل والمشروعية بدل من أن نطرحهما جانبا بصفة عملية ونتغنى بهما لفظا بدون تطبيق؟! فذلك لا يليق بمن يحترم نفسه ويحترم الآخرين، فلقد حذر ديننا من النفاق والكذب في القول والعمل، وحرم نقض العهد وبين أنه إثم قال تعالى: "**الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون**"، كما حرم الغدروالكذب وإخلاف الوعد، والفجور في الخصام وبين عليه الصلاة والسلام أن من فيه خصلة من هاته الصفات المذمومة كانت فيه خصلة النفاق...

وهذا لفظ الحديث الذي يؤكد ما أشرت إليه حسبما جاء في صحيح البخاري وهو: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها).

وهكذا فالإسلام يحرم الظلم ويرغب في مكارم الأخلاق، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) متفق عليه.

إن ديننا لا يرضى من الإنسان أن يكذب على أخيه الإنسان فالكذب محرم عند المسلمين ويجلب من المضار لمن امتهنه أو عمل به الكثير، وينزع الثقة التي هي أغلى شيء عمن عرف بالكذب... وكم جر الكذب على صاحبه من مشاكل، ولقد ورط الكذب من اتخذه سبيلا لتحقيق هدفه - سواء كان فردا أو أمة- توريطا لم ينفع معه ندم، والدليل على ذلك ظاهر كالشمس رابعة النهار...

وكم هاجمت الأقلام الشريفة من قام بعمل مثير للانتباه كان السبب الذي جعله يقوم به مبنيا على الكذب، فحط ذلك من قيمة العمل المبني أساسا على الزور والبهتان.

فالإسلام يدعو ويرغب في الأخلاق الحميدة قال عليه الصلاة والسلام: (ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق) أخرجه أبو داوود والترمذي وصححه.

فلنوطد أنفسنا على الأخلاق الفاضلة، ولننشر المحبة والألفة والتضامن بدل زرع البغض والتنافر، فالإنسانية في حاجة إلى نزع فتيلة الحروب فيما بينها، وإشاعة المحبة وحسن الجوار والتعامل بالتي هي أحسن، ولندع كل واحد ينمي العلاقة مع أخيه الإنسان في إطار المشروعية والعدل واحترام الآخر بدل أن ننغص عليه عيشه ونشوش عليه في حياته، ولنتعاون على البر والتقوى وليحترم كل منا الآخر لما في احترام البعض للبعض من جلب الخير ودفع الضر، ولنجعل العفو ونسيان السوء نصب أعيننا: (فما زاد الله عبدا يعفو إلا عزا)، فالله حث على العفو عن المسيء وعدم مجازاته على إساءته وإن كانت جائزة، قال تعالى: "**فمن عفا وأصلح فأجره على الله**".

فالإسلام يدعو لما فيه إصلاح البشرية وإحياء روابطها في إطار الحب المتبادل والمنافع المشتركة والتواصل المبني على خدمة الصالح العام، قال عليه الصلاة والسلام: (يا أيها الناس أفشوا السلام وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) أخرجه الترمذي وصححه، فديننا يدعو لنشر السلم والسلام بين أبناء البشرية فهو دين الرحمة والتآخي والتوادد وحسن الأخلاق والتواضع والإنفاق، ففي الإنفاق قال تعالى: "**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**" سورة سبأ، الآية:39.

وعنه عليه الصلاة والسلام: (أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق) أخرجه الترمذي وصححه الحاكم.

فالإسلام يدعو لما يعمق المحبة في النفوس بين الناس بصفة عامة، قال عليه الصلاة والسلام :(إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوُجه وحسن الخلق) أخرجه أبو يعلى وصححه الحاكم، فلنخالط الناس ولندعو للخير، ولننشر التآلف ومحاسن الإسلام التي لا تأتي تحت حصر، ولنطبق تعاليمه الإنسانية العالمية التي تتكيف مع كل زمان وتصلح في كل مكان، لأنها تخدم مصلحة البشرية بلطف ورحمة وسلام، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المومن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) أخرجه بن ماجة بإسناد حسن وهو عند الترمذي إلا أنه لم يسم الصحابي.

فالإسلام دين اجتماعي رحماني.

وفقنا الله لما يرضيه، ونرجوه أن ينشر السلم والأخوة المبنية على أسس العدل والمشروعية وفق ما يرضي الله ورسوله إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

مسائل الخلاف في ذات الوجهين

المداومة على الطاعة

التوبة

رد التشريد في مسألة التقليد

زفرات وانتهاكات لحقوق الإنسان في بلاد الرافدين

المصلح التبكتي يمجد المولى سليمان ويشتكي إليه

الانغماس في العبودية

المقتضيات الجديدة في أحكام الوصية

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الحاج الداعية المصلح التنبكتي يمجد المولى سليمان ويشتكي إليه

■إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ هذا عالم من علماء تنبكتو التي تخرج فيها علماء كبار مثل الشيخ أحمد بابا التنبتي، صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ت:1036هـ وغيره من المؤلفات، والذي أقام بمراكش إقامة إجبارية على عهد السلطان أحمد المنصور السعدي بعد فتحه لبلاد السودان الغربية.

أما المتحدث عنه فهو العلامة المصلح الحاج أحمد بن القاضي الفولاني الفوتي التنبكتي الذي كتب أثناء رحلته إلى الحج سنتي (1222، 1224هـ)نصيحتين، إحداهما كتبها بتونس، وقدمها لواليها: حمودة باشا، الذي تولى حكم تونس إثر وفاة والده سنة: 1197هـ/1782م، ونهج مدة حكمه سياسة متمايزة عن سياسة الباب العالي، وعنون نصيحته لوالي تونس: "هتك الستر عما عليه سودان تونس من الكفر".

والنصيحة الثانية قدمها لسلطان المغرب المولى سليمان بن سيدي محمد بن عبد الله العلوي، وعنونها بقوله: "شكاية الدين المحمدي إلى رعاية الموكلين" وهو في مقدمة نصيحته يعرف بنفسه، ويعترف بقصوره في تواضع جم، إلى أن يقول: "وبعد فلما خرجت إلى الحج، وانتهيت إلى البحر، وألزمت ركوب السفن لقصور يدي ورجلي عن مصاحبة القوافل في البر، رأيت في تلك السفن مناكر ضاق بها صدري، واحترق بها بدني، ولم أجد طبيبا في كل قطر من الأقطار، ولم أزل كذلك حتى توجهت لمحروسة فاس، ولازال الله تعالى يفتح لها كل باب من أبواب رحمته، ويؤلف بين قلوب أهلها في كل دهر من دهوره، ويسترها عن كل عيب في كل وقت من أوقاته، ويجعل حجابا مستورا بينها وبين كل كافرعنيد، وظالم حسود، وكان أمير المؤمنين بها في الوقت السراج المنير، الكوكب الوقاد، القطب الرباني، الغيث الدائم، البحر الزاخر، الشهاب الثاقب البدر التام، شمس الضحى، ظل الله فوق أرضه، تاج العلماء، أفصح الفصحاء، روح سلاطين العرب، وعمدة سلاطين العجم، الذي لولاه لكان أهل المغرب كبني إسرائيل من ظلم الثائرين، ولكانوا تحت الذمة من تحت بني الأصفر، الجوهر الفرد، وحيد عصره، وفريد دهره، مغيث اليتامى والمساكين، حاتم الجود، الجامع ما افترق من الدرجات والمكارم، سليل من سلالة بني هاشم، معدن الكرم والفضل، الوارث الجود والعدل العالم العلامة، البحر الفهامة، القائم بوظائف المسلمين، المشمر ساعده لنصرة الدين المحمدي..."وقبل أن نواصل نعوته وأوصافه للسلطان المولى سليمان نرى أن المؤلف صاحب النصيحة يشير إلى حدثين مهمين، وهما: الثورات التي قامت في عهد المولى سليمان رحمه الله، واستطاع التغلب عليها، وإلى قوة الجيوش الفرنسية في عهد نابليون بونابارت، الذي عزم على غزو المغرب سنة 1808م بعد اجتياح جنوده لاسبانيا والبرتغال، مما خشي معه المغاربة من غزو نابليون لبلادهم، كما فعل في مصر وغيرها.

فالأوضاع الداخلية والخارجية كانت في هذه الفترة من الخطورة بمكان، واستطاع السلطان المولى سليمان رحمه الله بسياسته الحكيمة أن يتغلب على هذه الأخطار، وان يحافظ على سيادة المغرب واستقلاله، وهذا مما أكبره في عيون علماء المسلمين الغيورين على البلاد الإسلامية وأهلها، ولذا فالعلامة أحمد بن القاضي التنبكتي يضفي على المولى سليمان من الأوصاف والألقاب والنعوت مايراه جديرا به، وكان قد تجول في البلاد الإسلامية مابين تنبكتو والحجاز، وشاهد ماشاهده من سوء الأوضاع خلال نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر، وماكانت عليه البلاد الإسلامية في هذا الظرف: مصر، والشام، والحجاز، وشمال افريقيا، ومايمارس على الناس من ظلم حكام البال العالي باسطنبول، ولاة الخلافة العثمانية في هذا العهد، فلاحظ أن المغرب أحسن حالا من غيره، وأن ملكه الهمام استطاع أن يمسك بزمام الأمور، ويسير ببلاده نحو شاطئ النجاة والسلامة، ومن هذه الظروف يقول أبو عبد الله محمد الضعيف الرباطي في كتابه : "تاريخ الدولة السعيدة" أي الدولة العلوية الشريفة، يقول: "وفي هذه السنة. اي: 1222هـ قوي سلطان الفرنسيس وهو نابليون بنابارطي، وقهر أجناس النصارى، وغلبهم، ولابقي مخالفا عليه إلا اللنفليز، وأراد الخروج للمغرب وأتى بأجناس النصارى للبوغاز، وإلى طريفة والخزيرات، وصنع قنطرة من اللوح ليقطع عليها، ثم خاف من اللنفليز، لأنه لم يتفق معه على ذلك، وقال إن أردت القطوع للمغرب فأحرق لك السفن، فإن غلبت فذاك، وإن لم تغلب فيقتلكم المسلمون، وذلك جزاؤكم فتنهنه ورجع (1) ومما حلى به أحمد بن القاضي التنبكتي المولى سليمان: "زين العابدين، أمير الأمراء، آخر علماء السنة الذي ستر الله عيوب المغرب بسترة سينه، وألطف عليهم بلطف لامه، وأفاض عليهم بركات يمن يائه، ومن عليهم بمثن ميمه، وألف بين قلوبهم بألف ألفه الثابتة بين الميم والنون، ونور أرضهم بنور نونه، السلطان الأعظم ابن السلطان، سيدنا سليمان ابن أبي المكارم الشريف المعظم محمد، نصره الله نصرا يعز به دين الإسلام، ويذل به رقاب أهل الفسق، والأصنام، اللهم بك إليك نسأل أن تجعل أجسام الكافرين والباغين والمنافقين أغمادا لسيوف أجناده، وأقذف في قلوب الضالين روعة صلصلة سلسلة آبائه وأجداده، وكن له يامجيب السائلين معينا وظهيرا ونصيرا على أعدائه الكافرين آمين يارب العالمين ثم يقول: "فأردت أن أبلغ ذلك لسطلان السلاطين الامام الأبر الأمير الزسعد سيدنا سليمان، زاده الله عزا وشرفا ودينا، وعلمت أنه لايتم ذلك إلا بطول الكلام معه، وذلك لايمكن لقصور درجتي عن ذلك، مع غلبة الجهل على القلب والعجمة على اللسان فألفت في ذلك رسالة وسميتها "شكاية الدين المحمدي إلى رعاية الموكلين به" اللهم يامجيب السائلين، بك إليك أسأل أن تحفظنا من الرياء والخطأ المبعد عن الصواب والرضا، وأن تغفر لنا ولأبنائنا إلى منتهى الإسلام، وأشياخنا، وأحبابنا، وإخواننا، ولمن قرأ هذه الرسالة، أو نسخها ولو بأجرة، أو نقلها من بلد إلى بلد، أو بلغها للحكام، أو أصلح ما فيها من الفساد والخطأ واللحن بالعلم والإعانة، لا بالجهل والرياء، وقد أذنت لكل ذي قدم رفيع من العلم أن يصلح ما فيها من الفساد لفرط جهلي بشروط التاليف التي هي علم النحو واللغة والتفسير والحديث والاجماع، إلى غير ذلك من الشروط.." صاحب النصيحة يؤكد عدم تطلعة في العلوم التي تؤهله للكتابة، ولذا فهو يطلب من أهل العلم والمعرفة، ممن يقفون على رسالة أن يصلحوا ما فيها من أخطاء لأن القصد هو وصول النصيحة وإخبار أولي الأمر بالمنكرات التي شاهدها، وعلم علم اليقين أنها بعيدة كل البعد عن تعاليم الدين ومبادئ الأخلاق، ولذلك يقول: "والمقصود في هذا الكتاب تبليغ المناكر إلى من وكل بتغييرها، وذلك يحصل بمعرفة معنى الألفاظ ولو مع الخطأ واللحن ثم حصرت تلك الرسالة في بابين، وتتمة، وبالله نستعين، وبه نستخير لارب غيره، ثم يقول:

"باب في بيان ماأشرك به أهل المراكب من إثبات التأثير للكائنات، والتشاؤم بالقرآن الذي تنزل البركة بقراءته، واقتدائهم بالنصارى عند غروب الشمس"(2).

لقد اعتذر المؤلف سابقا عن ركوب السفن بقلة ماله وعدم قدرته على السفر مع القافلة في البر، ويبدو أن ركوب البحر كان أيسر من الانضمام إلى قافلة الحجاج الذي يتطلب القدر الكافي من المال لكراء الدواب، وشراء الماء والغذاء بالاضافة إلى طول الطريق، وصعوبته وأخطاره... فالمؤلف كان مضطرا لركوب السفن لكن المشكل أن أصحاب هذه السفن الذين يدعون أنهم مسلمون، لهم طقوس غريبة، وعقائد جاهلية فهم في بداية الرحلة يقومون بذبح شاة ورميها في البحر اعتقادا منهم أن ذلك يضمن سلامة السفينة، والبحارة المغاربة، يقدمون الذبيحة لأولياء الله رجال الساحل، وفي طليعتهم أبو العباس السبتي أحد سبعة رجال بمراكش، ويرى المؤلف أن الذبح لا يكون إلا باسم الله، ولله، وغير ذلك فهو اعتقاد فاسد، ويستدل بالآيات القرآنية، ويكثر منها... ويقول إنهم يتشاءمون بقراءة القرآن... ولهذا فهو سيرفع أمر هؤلاء للسلطان حفظه الله تعالى.للحديث صلة.

الهوامش

1. تاريخ الدولة السعدية للضعيف، تحقيق الاستاذ أحمد العماري طبعة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط،1986.

2. عن كتاب: (مصلح فولاني في بلاد المغرب) بتحقيق وتقديم الأخ الدكتور محمد المنصور وزوجه الفاضلة الدكتورة فاطمة الحراق، حفظهما الله، وبارك في أبحاثهما القيمة، والكتاب ضمن سلسلة وثائق منشورات معهد الدراسات الافريقية لسنة: 2000م.

الحـــزر

■إعداد الاستاذ: أحمد باكو

■ الحزر كما تقول المعاجم، هو تقدير الشيء بالتخمين والحدس من حزر يحزر حزرا على وزن ضرب فمعناه استنتاج شيء متوقع على طريق التخمين المستند إلى القرائن أو قوة الحدس.

والحزر بهذا المعنى له غايات كثيرة تستدعيه، في كل مناحي حياتنا، لاسيما في لغة الصحافة والأخبار التي تطرق اذاننا يوميا أجهزة الاعلام.

ولكن الكلمة غائبة غيابا تاما عن الاستعمال. وأدى غيابها كما هي العادة إلى استعمال عبارات أخرى غير موضوعة للمعنى في الأصل، اقتحمت الميدان عن طريق الترجمة الفاسدة وأدى هذا كما يقع دائما إلى أن تشيع على الألسنة والأقلام، عبارات أخرى بعيدة عن المقام والمناسبة، مثل تكهن وتنبأ. إذان الأولى مرتبطة بالكهانة وسمعتها السيئة واقتباسها على سبيل المجاز نشاز مستقبح.والثانية لاتعني إلا ادعاء النبوة ولاعلاقة لها بالحزر والتخمين بحسب الأصل، ومن المناسب جدا أن يقال في الأخبار وغيرها أن فلانا يحزر أن سيكون كذا أو أن الخبراء يحزرون أن ترتفع الاسعار في مادة معينة. أو أن فلانا قال ما قال حزرا أو أن عاقبة الحادثة أو نتيجة الامتحان أو الانتخاب محزورة قبلا، لكثرة القرائن المرجحة، وغير ذلك مما يراد الإخبار عن المحتملات والعواقب المتوقعة.

والحزر هو المناسب كذلك في مجال الحديث عن أحوال الجو للإخبار عما تطلع عليه الشمس وتغرب من التقلبات المناخية، التي يتوصل إليها الخبراء، عن طريق الحزر المستند إلى مقدمات تقوم على العادة التي يمكن أن تتخلف.

وللكلمات مرادفات هي التخمين والحدس والخرص كما تروي المعاجم فيقال خمن الشيء يخمنه خمنا من باب نصر ينصر وخمن أيضا بالتشديد، بمعنى قال فيه بالحدس، وحرص الشيء يحرصه من باب نصر أيضا، بمعنى حزره، وقدرة بالظن. وحدس الشيء من باب نصر كذلك قدره بالظن. ومنها أيضا غصن واغصصن والعبارات وإن كانت مترادفة فإن المقارنة بينها تنتج أن الحزر هو الأولى، في مجال الأخبار في التعبير عن المراد، فيما نستعمل فيه اليوم تنبأ وتكهن. وعلى أي فإن المرادفات المشار إليها أولى من الفعلين المذكورين المستعملين الآن.

الوثاق

مسائل الخلاف في ذات الوجهين

للعالم العلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي

■ الأستاذ : إدريس كرم

قال الشيخ الفقيه الامام العالم العلامة المقرئ النحوي اللغوي سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي رضي الله عنه قال سليل عبد السلام محمد الفاسي ذوي الارحام

الحمد لله الذي حماني
تفضلا بخدمة القرآن
أقامني بعد التعلم له
معلما لمن يعاني حمله
فيالها من منة وتكرمة
فاضت على صاحب نفس مجرمة
يرجو تجاوز الاله ذي المنن
بجاه مصطفاه ذي الخلق الحسن
صلى عليه الاله ما لاح القمر
وآله ذوي الحجول والغرر

❖ ❖ ❖

هذا وإن بعض من صحبني
بالسوس للأخذ وعلمه يقتني
لقنته وجوه حرزنا على
تمامها وليس ذا عند الملا
لأنه شاع الاقتصار
في بعضها على الذي يختار
فقال ان بينت لمصدرا
من غيره في النظم كان احذرا
إذ كنت قد نضمت مما يقتدي
مستوعب الخلاف ما قد صدرا
فقلت سائلا الهي عونا
من فضله وعن خطإ صونا
الوقف في تعوُّد مصدرة
ثم يليه وصله لما تمده
ان مفردا أتى وإن قرن مع
بسملة فأربعا حصل تطع
الوقف فيها فقيه وحده
تمت فيه وجوها فعده
تمت وصل لهما في الرابع
والكل داني بلا ممانع

❖ ❖ ❖

اعلم أن مسائل الخلاف ذوات الوجهين أو أكثر منهما التي شملها حرز الأماني رحم الله ناظمه، وجزاه خيرا، وجرى عمل الناس في بعضها على استيعاب الوجوه تلاوة لكل من له وجهان أو أكثر، كمد المنفصل لقالون والدوري مثلا، مع تصدير وجه وتأخير آخر.

وقد نظم في ذلك غير واحد، كشيخ شيخنا مولاي ادريس بن محمد المنجرة الشريف قدس الله سرهما، وقد نظمت في ذلك رجزا بينت فيه وجه تصدير ما صدر، وشرحته وسميت الشرح ابراز الضمير من استدار التصدير، وهو موجود مع مشروحه بأيدي الآخذين وفرهم الله.

وكنت اعريت ذلك الرجز ممن ذكر تحقيق الهمز، وقلت فيه إن لذلك كتبا تتسلم منها أحكامه، ثم سألني بعض فقهاء أرض دكالة حفظها الله، أن أبين له ذلك نظما ليلحق بذلك النظم، فاسعفته في مرغوبه، وذيلت ذلك برجز بينت فيه ما وسعني بيانه من مصدر في تحقيق الهمز وهو أيضا بأيدي الآخذين نفع الله بذلك عباده، وجعله ذخرا ليوم القيامة.

❖ ❖ ❖

وبعض تلك المسائل التي اشتمل عليه الحرز جرى عمل الناس فيها على الاقتصار على وجه واحد من وجهي الخلاف، أو وجوهه لشهرته في الناس زمن شيخ الجماعة أبي زيد القاضي رحمه الله.

❖ ❖ ❖

وكنت أنا قد أخذت عن شيخنا ومفيدنا وعمدتنا العلامة الهمام المبرز الحافظ المتقي مولاي عبد الرحمن بن ادريس الشريف المنجرة جزاه الله خيرا ورحمه وقدس روحه، استيعاب تلك الوجوه قراءة في كثير عن مواضعها من القرآن وإذنا في الباقي عن والده المذكور عن شيخه العلامة ابي عبد الله محمد بن القاسم البقري المصري الشافعي بسنده الى ابن الجزري الحافظ الحجة، وعن والده المذكور عن شيخه العلامة أبي عبد الله محمد بن محمد بن منصور بن علي الشريف البعناني، بسنده الى العلامة الحجة ابي عبد الله بن عازي رحم الله جميعهم،

❖ ❖ ❖

فلما كنت بثغر الصويرة المحروس بالله لفت بعض الأخدين علي من أهل السوس ممن اعتنى بشأنه ولا آلوه نصحا، إذ كان ممن رغب في الأخذ عني، والتلقي مني وتوخى المثول بين يدي، والجمع على الاستفادة مما لدي من تلك المسائل على الاستيعاب، وأذنت له في القراءة بها وإقرائها لمن يرغب فيها من الطلاب، وهو صاحبنا الطالب النجيب أبو العباس احمد بن عبد الله الهشتوكي الباهي والى الله سعادته، وحرص نجابته، ولولا أن مدح الشيخ تلميذه مدح لنفسه على الحقيقة فيما يسبق الى العقول، لأطنبت فيما أقول، لكني اقتصرت قولا بالصدق، وتوخيا للحق، كما أذنت له في القراءة السبع التي تضمنها كتاب حرز الأماني لولي الله سيدي أبي القاسم الشاطبي رحمه الله ونفعنا الله به، لانه قرأ على القرآن بمضمنه عرضا باستظهار في عدة ختمات، فختمه علي ست ختمات متوالية في حدود سنة خمس وتسعين بتقديم المثنات لما كنت حالا بالثغر المذكور.

❖ ❖ ❖

ثم لما عدت اليه في حدود العام الثاني بعد المائتين والف وجدته هنالك، فجدد قراءته على بختمه أيضا سبع ختمات أخر متوالية عرضا باستظهار بمضمن الكتاب المذكور للسبعة المشهور بين أيمة الانصار رحمهم الله تعالى، وادرج في الختمات الثلاث عشرة الادغام الكبير لأبي عمر والبصري من روايته على ظاهر الشاطبية المعمول به في نواحي المغرب مع تحقيق الهمز للسوسي فقط، واستوعب في جميعها أيضا وجوه تحقيق الهمز في الوقف لهشام وحمزة على مقتضى قياس وافق الرسم، ولو مرجوحا أو على مقتضاه مجردا عن الرسم على مذهب الداني والشاطبي وابن شريح وابن واصل وغيرهم حسبما أخذت استيعاب ذلك عن شيخنا رحمه الله من طرق المغاربة حسبما أخذ ذلك عن والده عن شيخه الشريف البعناني المذكور وإن كان عن طريقه عن ابن القاضي بالاقتصار عن بعض الوجوه من تحقيق الهمز وعلى وجه واحد من تلك المسال، وحسبما أخذ ذلك عن والده أيضا عن شيخه البقري المذكور من طرق المشارقة والله المسؤول أن يوفقني وإياه للعمل بما فيه استعملنا، وأن ينفعنا به في دنيانا وآخرتنا وأن يجعله من العمل المتقبل المبرور، وأن يستعملنا بتقوى الله العظيم وأن يقف بنا عند مراعاة وحيه الحكيم، وأن يسلك بنا مسالك عباده المهتدين، وأن ينفعنا بما علمنا عباده المومنين، وأن يعرفنا مقدار أنفسنا وأن ينبهنا إلى اعتبار إحسانه الينا آمين.

❖ ❖ ❖

ثم إنه لما لقنته المسائل المذكورة طلب مني أن أنظمها له في سلك يكون لها إجماعا، فلا تكون إذا متاعا مضاعا، لأن ذلك أيسر في اللفظ، وأدعى الى الحفظ، واحظر في الفوائد، وأقرب شأوا عند الاشهاد، فاسعفته الى طلبه، ووفيت له في رغبته، ونظمت له هذا الرجز المشتمل على تلك المسائل، وشرحت الرجز بما تقف عليه فيه إن شاء الله وهو سبحانه المسؤول أن يجعلني مسددا، فلا يضيع سعيي فيه بددا ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

❖ ❖ ❖

وهذا أو ان ابتداء الشرح فأقول بحول الله وقوته، صدر الوقف على التعوذ لما يوذن به في أول الأمر، أنه ليس من القرآن عند عامة المسلمين وخاصة القرآن، ووقف عليه مع البسملة، وعليها معه عند اجتماعهما لذلك الابدان، إذ لم يوت بها للاستفتاح والخلاف في قرآنية البسملة له محمل آخر يذكر فيه، وبهذا الوجه جرى العمل بفاس والمغرب حسبما ذكر الشيخ ابن القاضي، وذلك عند من له معرفة، فلذلك ذكرته مصدرا، وإن كان الداني يرى غيره أحسن كما سياتي.

❖ ❖ ❖

ووقف عليه الثاني دونهما للايدان المذكور، ولتوصل بما جاء بها للاستفتاح فيه وهو أول السورة، ووقف (الثالث) على البسملة دونه لأنهما أتى بهما للاستفتاح، فكان كالجملة الواحدة، فوصلا فيما بينهما، ووقف على البسملة لما ذكر من الايدان، بأنها ليست من القرآن مع قول الداني الوقف على البسملة أتم (الرابع) ووصلا معا مع المفتتح بهما فيه لتوفر علم المسلمين أنهما ليسا من القرآن، ووصل كل منهما بالآخر تتميما للاستفتاح، إذ كل منهما له علم علي الانفراد، فكذلك في الإجتماع، فوصلهما مع المفتتح تمام للاستفتاح، وهذا الوجه هو الأحسن عند الداني فكان ينبغي أن يكون هو المصدر لكن جرى العمل بخلافه فصدرت ما جرى به العمل ثم اتبعته مالاقاه في وجه وقف فلم يبق لهذا الا التأخير والله جلت قدرته اعلم.

بسملة لورشهم بين السور
لثالث الوجوه تلقى في الخير
وقف بسابق ووصلها بما
بعد بأول وجوهها اعلما
يليه وقف بهما ويتلوا
بثالث وصلهما ان تبلوا
ورابع الوجوه عكس الأول
ممتنع فحصلا ذا تعتلي
وكل من فصل بين السورتين
بها فهذا حكمه من دون مين

كانت ثالثة الوجوه عنه لأنها من زيادة القصيد على احتمال فيه، وصدر الوقف على ماقبلها أو وصلها بما بعدها لما فيه من الاعلام بتمام السورة، ولتتصل بما جعلت مفتاحا له ووقف على آخر السورة على البسملة للإيدان بالانقضاء المذكور وللاعلام من أول الأمر أنها ليست من القرآن، ولأنها موضع وقف تام وسبق أن الداني قال، أتم إلا أن مكيا منه الوقف عليها وصلت بسابقها أو فعلت منه، وليس لفتحه، بل الوجه الجواز وهو مذهب الداني، ثم إن مذهب مكي يقتضي أن يكون الوجه الثالث مصدرا على هذا الوجه الثاني فانظره، ووصل آخر السورة بها وهي بأول الثانية لأن القرآن كالسورة الواحدة كما قال حمزة، فجاز وصل بعضه ببعض، واعطيت البسملة حكمه فوصل بها آخر السورة الأولى ووصلت هي بأول الثانية لتتصل بما جعلت مبدئا له، وكل من فصل بين السورتين بهما فالحكم له كحكم ورش والله سبحانه اعلم.

❖ ❖ ❖

ما فيه وجهان من ادغام كبير
ادغامه مقدم بلا نكير

ما فيه وجهان من الإدغام الكبير وجهان مبنيان على الاعتداد بالأصل والعارض وعلى حصول التخفيف في الكلام من غير إدغام وهذا البناء يقتضي تقديم الاظهار، وعليه اقتصر ابن مجاهد، لكن أوثر الادغام المنهار الرغبة في التحقيق والمبالغة وهو القياس، وذلك باب هو ومن قال في غيره بعد ذكره مذهب ابن مجاهد وبالوجهين قرأت مع تعرضه لرد الاظهار في بعض، وكذلك ظاهر في اختياره الادغام والله اعلم.

قالوا في ميم الجمع يبتدي
بوصلها فحققنه واقتدي

(يتبع)

في ظلال الحديث:

الحديث الرابع عشر والمائة: المداومة على الطاعة

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"إذا عمل عملا أثبته..." رواه مسلم

2 من مقتضيات العمل الصالح المداومة عليه وإن كان قليلا:

إن أهم قضية نحتاجها الآن أن نتعاهد أعمالنا الصالحة التي كنا نعملها، فنحافظ عليها، ونزيد عليها شيئا فشيئا. وهذه هي الاستقامة والمداومة أو التثبيت الذي ورد في الحديث الذي بين أيدينا.

وإن من أراد أن يداوم على أعماله الصالحة بعد رمضان، ويسابق إلى الخيرات، فإن من المفيد له أن يعرف أهمية المداومة عليها، وفضل المداومة، وفوائدها، وآثارها، والأسباب المعينة عليها، وحال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الأطهار رضي الله عنهم في ذلك.

وتأسيا بالحبيب صلى الله عليه وسلم، قدم الصحابة رضوان الله عنهم نماذج رائعة دونها التاريخ الإسلامي بمداد الفخر والاعتزاز ليكون مفخرة للمسلمين ونبراسا لهم وهديا يهتدون به لعلهم يفلحون كما أفلح الأوائل.

وإنما كان عمل الصحابة رضي الله عنهم مستمد من عمل النبي صلى الله عليه وسلم، فهو المعلم وهو القدوة وهو الأسوة، وفيما يلي نعرض لبعض النماذج الرائعة.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تصلي الضحى ثماني ركعات ثم تقول: "لو نشرني أبواي ماتركتها" (أخرجه مالك)، وهي تقصد بذلك المداومة وتثبيت عمل تطوعي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال عند صلاة الفجر: "يابلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة"، قال: "ماعملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ماكتب لي أن أصلي" متفق عليه.

وعن بريدة قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال: «بم سبقتني إلى الجنة؟ مادخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي"قال: يارسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، فقال رسول الله: "بهما" رواه الترمذي.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "أتانا رسول الله فوضع رجله بيني وبين فاطمة رضي الله عنها فعلمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا، فقال: "يافاطمة إذا كنتما بمنزلتكما فسبحا الله ثلاثا وثلاثين، وحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين"قال علي: والله ماتركتها بعد. فقال له رجل. كان في نفسه عليه شيء. ولا ليلة صفين؟قال علي: "ولا ليلة صفين"، (أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي)فلم يتركها رضي الله عنه في وقت الشدة، ليلة التعب والحرب والكرب، ومن باب أولى وقت الراحة والرخاء.

3 أهمية المداومة على الأعمال الصالحة وفضلها:

المداومة على الأعمال الصالحة من الأهمية في الشريعة الإسلامية بمكان، وتظهر أوجه أهميتها بما يلي:

1. أن فرائض الله عز وجل إنما فرضت على الدوام، وهي أحب الأعمال إلى الله تعالى.

2. أن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم المداومة على الأعمال الصالحة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملا أثبته" رواه مسلم.

3. أن الأعمال المداوم عليها أحب الأعمال إلى الله وإلى رسوله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" متفق عليه.

4. أن من فاته شيء من الأعمال التي يداوم عليها من صلاة ليل، أو قراءة قرآن، ونحوها... استحب له قضاؤه، ولولا ما للمداومة من أهمية ماشرع له ذلك.

4 آثار وفوائد الاستمرار والمداومة على الأعمال الصالحة:

يكرم الله عباده المحافظين على الطاعات بأمور كثيرة، ومن تلك الفوائد:

1. دوام اتصال القلب بخالقه مما يعطيه قوة وثباتا بالله عز وجل وتوكلا عليه، ومن ثم يكفيه الله همه، قال تعالى:(ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

2. تعهد النفس عن الغفلة، وترويضها على لزوم الخيرات حتى تسهل عليها، وتألفها، وكما قيل: "نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية".

3. أنها سبب لمحبة الله تعالى للعبد وولاية العبد لله، قال تعالى:(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين). والمراد: المداومين على التوبة والطهارة، المكثرين منها. وجاء في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه".

4. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب النجاة من الشدائد، كما نصح النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنه بقوله: "احفظ الله يحفظك"، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك من الشدة" أخرجه الإمام أحمد.

5. أن المداومة على صالح الأعمال تنهى صاحبها عن الفواحش، قال تعالى: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق،فقال: إنه سينهاه ماتقول"أخرجه الإمام أحمد.

6. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لمحو الخطايا والذنوب، والأدلة على هذا كثيرة، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: "لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيئ؟قالوا: لا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا" أخرجه الشيخان.

7. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لحسن الختام، قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)، وقال: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء).

8. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب للتيسير في الحساب وتجاوز الله تعالى عن العبد، وقد جاء في الأثر: أن الله تجاوز عن رجل كان في حياته يعامل الناس ويتجاوز عن المعسرين، فقال الله تعالى: "تجاوزوا عن عبدي" رواه مسلم.

9. أن المداومة على العمل الصالح سبب في أن يستظل الإنسان في ظل عرش الله عز وجل يوم لاظل إلا ظله. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) متفق عليه. وكل هذه الأعمال لابد فيها من الاستمرار.

10. أن المداومة على العمل الصالح سبب لطهارة القلب من النفاق، ونجاة صاحبه من النار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من صلى أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان، براءة من النار، وبراءة من النفاق" أخرجه الترمذي.

11. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان). فقال أبو بكر: ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؟ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟قال: "نعم، وأرجو أن تكون منهم" متفق عليه.

12. أن من داوم على عمل صالح، ثم انقطع عنه بسبب مرض أو سفر أو نوم كتب له أجر ذلك العمل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا" رواه البخاري، وهذا في حق من كان يعمل طاعة فحصل له مايمنعه منها، وكانت نيته أن يداوم عليها. وقال صلى الله عليه وسلم "ما من امرئ تكون له صلاة بليل فغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته، وكان نومه صدقة عليه" أخرجه النسائي.

5 وسائل المداومة على الأعمال الصالحة بعد رمضان:

إن من الأسباب المباشرة لإيراد هذا الحديث في هذه الحلقة، هو محاولة صادقة من محب لك أخي القارئ أراد أن يحفز نفسه وإياك على المداومة على ماكنت عليه من عمل صالح وتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض في وقتها وكما يحب الله ويرضى، والنوافل والتطوع بكل أشكاله، لأن بعد رمضان خصوصا، وبعد مواسم الطاعات عموما، كلنا يتساءل ماذا بعد؟

ماذا بعد رمضان؟ كنا في رمضان في إقبال على الله.. نكثر من النوافل .. نشعر بلذة العبادة... ونكثر من قراءة القرآن الكريم.. لانفرط في صلاة الجماعة.. منقطعين عن مشاهدة ماحرم الله.. ولكن بعد رمضان ربما نفقد لذة العبادة التي نجدها في رمضان ولا نجد في ذلك الحرص على العبادة... فكثيرا ماتفوتنا صلاة الفجر مع الجماعة... وننقطع عن كثير من النوافل وقراءة القرآن.. وتنزلق أبصارنا وأسماعنا ماكنا نتحاشاه في رمضان.

فهل لهذه المشكلة من حل أو علاج؟!

بالتأكيد، نعم، لأنه ليس هناك داء إلا وله دواء، وليست هناك مشكلة إلا ولها بإذن الله تعالى حل، وهذه أخي الكريم، أختي الكريمة بعض الوسائل المعينة على المداومة على العمل الصالح بعد رمضان، وتثبيته:

1. أولا وقبل كل شيء طلب العون من الله عز وجل على الهداية والثبات وقد أثنى الله على دعاء الراسخين في العلم "ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب".

2 الإكثار من مجالسة الصالحين والحرص على مجالس التربية والذكر العامة كالمحاضرات والندوات والأنشطة التربوية والثقافية والخاصة كالزيارات ومجالسة العلماء.

3 التعرف على سير الصالحين من خلال القراءة للكتب أو استماع الأشرطة وخاصة الاهتمام بسير الصحابة والسلف الصالح من الأمة فإنها تبعث في النفس الهمة والعزيمة.

4. الإكثار من سماع الأشرطة الدينية المؤثرة كالخطب والمواعظ خصوصا التي تتناول الجانب الروحي، وتذكر بالله عز وجل وتقرب من طاعته ومرضاته.

5. الحرص على الفرائض كالصلوات الخمس في وقتها والجماعة.

6. الحرص على النوافل ولو القليل المحبب للنفس.

7. البدء بحفظ كتاب الله والمداومة على تلاوته.

8. الإكثار من ذكر الله والاستغفار.

9 البعد كل البعد عن مفسدات القلب من أصحاب السوء ووسائل الفساد والإفساد.

10. وأخيرا أوصيك أخي الحبيب بالتوبة العاجلة.. التوبة النصوح التي ليس فيها رجوع بإذن الله فإن الله يفرح إذا تاب أشد الفرح.

أخي المبارك لاتكن من أولئك القوم الذين لايعرفون الله إلا في رمضان لقد قال فيهم السلف "بئس القوم لايعرفون الله إلا في رمضان" وإني لمتيقن تماما أنك لاترضى لنفسك، كما أن الله عز وجل لايرضى لك أن تخرج من طاعته وتقواه.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

التوبة

■ إعداد الأستاذ: محمد أبياض

■ عباد الله، تعلمون أن البشرية كلها لاتنجو من الوقوع في المعاصي إلا من عصمة الله، فهل يعلم أحد منا معصوم من الوقوع في الزلات والمآثم؟ إن حالنا في الذنوب والسيئات لايخرج عن أربعة أحوال:

. فمنا من هو جاهل بالمعاصي لايفرق بين السيئة والحسنة ولايحزن لذلك ولايهتم ولايتعلم، فهؤلاء في هلاك وفي خسر مادامو على هذه الحال.

. ومنا من ينكر وجود المعاصي والحسنات ويعتقد أن الإنسان حر في هذه الدنيا يفعل مايستطيع ويترك مالا يريد، هؤلاء أيضا في هلاك وفي خسر لأنهم يجحدون الحق ويستهزؤون ويستهترون بالوحي.

. ومنا من يقر بالمعاصي والآثام ولكنه يهمل ويسوف التوبة وينسى ويغفل فهو في خطر لأن اعترافه بالمعاصي دون تركها لاينفعه.

. ومنا من يعترف بذنوبه وأخطائه ويندم ويبكي ويحاسب نفسه عليها، فعسى الله أن يهديه إلى ترك الذنوب ويحبب إليه حب الطاعات، وتلك علامة على أنه سبحانه يقبل من هذا العبد اعتذاره ويعلم منه صدق الرجاء والخوف فيتوب عليه ويهديه إلى سبيله، قال تعالى:

"والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"

فالأصناف الثلاثة الأولى لم يؤمنوا ولم يعملوا صالحا أو آمنوا كما يبدوا لنا ولكنهم لم يثبتوا إيمانهم ولم يبرهنوا عليه بالعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فبقي الصنف الرابع الذي آمن وعمل صالحا وأذنب وأخطأ واعتذر وخشي ربه بالغيب فعسى الله أن يعفو عنه وينجيه من الخسر وينقذه من الهلاك.

فكيف يقبل العبد المذنب على التوبة والندم؟

إن العبد المذنب الذي يريد بأبه ربه خيرا يلجأ إلى محاسبة نفسه من حين لآخر لأنه لايثق بنفسه ولايزكيها حين تزين له الشهوة المعصية وهو يعلم أن فعل المعاصي يغضب الله تعالى وأن الاستمرار فيها واستحلاءها هو بلادةوغباوة وغشاوة على القلب والبصيرة توصل من لم ينتبه ويستيقظ توصله إلى الوقوع في حفرة العذاب واللعنة في الدنيا والأخرة ويلتفت العبد الكيس الفطن المتهم نفسه يلتفت إلى ما حوله فلا يجد شيئا من المخلوقات يشاركه في المعصية إلا أمثاله من الإنس والجن، ثم يذكر النعم التي يتقلب فيها فلا يجد فيها نعمة استحقها على ربه، وإنما كل النعم هي تفضل من ربه وتكرم. ثم يسأل نفسه من هو المستفيد من ترك الذنوب والمعاصي؟ فلا يجد إلا نفسه، وأن الله لاتضره معاصي الخلق أجمعين لما عصوا أجمعين، ولاتنفعه الطاعات وإن كان الخلق جميعا أنبياء ورسلا وملائكة ثم يفكر كم بقي له من عمره فلا يعلم متى يموت ولايعلم كذلك متى تطلع الشمس من مغربها فلا تقبل التوبة بعدها أبدا، وهكذا يجد المتهم نفسه تلقائيا بين موقعين لاثالث لهما، موقع العصاة المذنبين من الجن والإنس وموقع التائبين الخائفين الوجلين المعتذرين، وهؤلاء معهم الأنبياء والصالحون والملائكة المقربون ومعهم أهل السماوات والأرض الطائعين أجمعين ومعهم رضوان رب العالمين، فلاشك أن العاقل الكيس يختار التوبة ويعجل بالإنابة ويستغفر ربه ويسأله الهداية والثبات على الصراط حتى تحضره المنية.

عباد الله، إن الغفلة عن المحاسبة الدائمة واليقظة المتوالية هي التي ينهانا عنها سبحانه بقوله: "يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون" وليس حسن الخاتمة إلا أن يحضرك أجلك وأنت في حال يرضاها الله عزوجل، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الحق حتى يقبضنا ونحن في حق وعلى حق إنه ولي التوبة وإليه المتاب آمين والحمد لله رب العالمين.

الحمدلة: كما ينبغي لجلال ربه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام .

قال تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"

العلماء الذين عرفوا أنفسهم وعرفوا ربهم، وأعلى هؤلاء درجة وأفضلهم تقوى أخشاهم لله وسبحانه وهم الرسل والأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل.

قال صلى الله عليه وسلم: "أنا أخشاكم لله" فالخائفون الخاشعون اليوم هم الأنبياء والأولياء والعلماء وهم الأمنون يوم القيامة بإذن الله وأما الأمنون اليوم فهم الفراعنة والجهال والأغبياء وهم المروعون المفزعون يوم القيامة وهم أجهل الناس، فأعلم الناس من خاف مكر الله، وأجهل الناس من أمن مكر الله"ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون".

عباد الله، لقد جمع الله للخائفين منه الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مميزات أهل الجنة، قال تعالى: "هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون" وقال سبحانه: "رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه" وأولى بالمذنب منا أن يتذكر من حين لحين وقوفه بين يدي الله عز وجل يسأله وينبئه فلا يمكنه أن ينكر ويجحد ماعمله من المعاصي، وإن اعترف وجعل يعتذر يوم القيامة ليبرئ نفسه فالله عليم خبير وقد قال سبحانه: "ويوم يقوم الأشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار"، وإذا اعترف يوم القيامة ولم يجد معذرة فلا ينفعه اعترافه يومئذ، قال تعالى: "فاعترافوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير"

. فلماذا لانحاسب أنفسنا اليوم ونعترف بذنوبنا وأخطائنا ونقلع عنها ونرغب إلى ربنا أن يتجاوز عنا وأن يعيننا على الطاعات حتى نلقاه؟ لقد نبه سبحانه على هذا الموقف موقف المحاسبة في الدنيا خوفا من الفضيحة يوم القيامة ودعا سبحانه عباده إلى الخشية منه بالغيب فقال عز وجل: "إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير"، قال معاذ بن جبل الصحابي الجليل: "إن المؤمن لايسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه فلا تغتر بقلبك، إن القلب أشد تقلبا من القدر في غليانها، ولاتثق بنفسك إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي.

عباد الله، لقد وردت أخبار متنوعة كثيرة في خشية الأنبياء والرسل منها أن داود عليه الصلاة والسلام كان يقول: "إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض بما رحبت وإذا ذكرت رحمتك رجعت إلى روحي، إلاهي طلبت أطباءعبادك لمداواة خطيئتي فكلهم دلوني عليك يادوائي ياشفائي يارجائي إقبل متابي" وكان عليه السلام يقول: دعوني أبكي ذنوبي قبل يوم البكاء قبل تخريق العظام قبل أن توكل بي ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون"

عباد الله نحن أولى بالخوف من الأنبياء والرسل لأن الله غفر لهم، نحن أولى بالخشية لكثرة ذنوبنا وعظم جهلنا وقسوة قلوبنا، وإذا كان ماء الغيث في الأرض يحي الحب فإن دموع الخشية والندم تحيي القلب فلا يغفلن العاقل عن خطر الذنب ولا ييأس المذنب من رحمة الرب. أوحى تعالى إلى داود عليه السلام "أن بكاء التائبين أحب إليه سبحانه من صراخ العابدين "وورد أن رجلا من الذين كانوا قبل الإسلام أطاع الله عشرين عاما ثم عصاه عشرين عاما فوقف يوما أمام المرآة فوجد الشيب في لحيته فانتبه من غفلته ووقف خائفا مرتجفا مضطربا فسمع هاتفا يقول: "ياعبدنا أطعتنا فأكرمناك وعصيتنا فأمهلناك فإن رجعت إلينا قبلناك التائب من الذنب كمن لاذنب له".

عباد الله ليست التوبة كلاما فارغا يردده المذنب دون أن يشعر بأمل في قلبه واحتراق في كبده خوفا من غضب ربه بسبب الذنوب إن التوبة الحقة نار تتأجج في الصدر فيخفق منها القلب وتفيض منها العين وترتعش منها الجوارح وينطلق اللسان لاهجا:

يامن يجيب دعا المضطر في الظلم
ياكاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت عينك ياقيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي
يامن إليه أشار الخلق في الحرم
إن كان عفوك لايدركه ذو سرف
فمن يجود على العاصين بالكرم
ياواسع الرحمة والمغفرة ياعظيم العفو والصفح يامن أظهر الجميل وستر القبيح ياأكرم الأكرمين إن طردتني من بابك فإلى أي باب أتجه اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد.

الدروس الحسنية المباركة العطرة أفضل منهج تربوي معاصر للثقافة الإسلامية

■ إعداد الأستاذ : مصطفى أصبان الحسني

■ كلما حل بنا هلال شهر رمضان المعظم ، إلا واشرأبت نفوسنا وتطلعت قلوبنا الظمآنة إلى ارتشاف العلم من معينه الصافي، ومنبعه الأصلي، من تلكم الدروس الحسنية الرمضانية العطرة التي يأمر بها مولانا أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله وأيده. ويشرفها بحضوره الفعلي ، ويزيدها قيمة ونضارة ، اختياره لنخبة من العلماء الأجلة من داخل المملكة الشريفة ، وخارجها، إنها مناسبة جليلة غالية عند كل مسلم ، لقد قل مثل هذه الدروس العلمية أن تحيا بهذا الشكل التقليدي الكلاسيكي المفيد، فهي تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وبهذه الحلقات العلمية المفيدة ، نتذكر مجد المسجد ورسالته وغايته العظمى فمنذ زمان أعطى المسجد رجالا أكفاء وعلماء وأبطالا ، كانوا مثال الهيبة والوقار والاحترام من الأمة.

إن تنوع الموضوعات التي تقدم وتطرح للتحليل والمناقشة من طرف السادة العلماء ، تزيد القارئ والمشاهد والمستمع اتساعا في أفقه ، ومتعة وفائدة وأية فائدة ! ومن هذا الدرس الحي المباشر الذي ينقل عبر التلفزة ، تتحقق لدينا المقولة المأثورة : العلم يؤخذ من أفواه الرجال ، فلو كب المتعلم أو القارئ على هذا العالم الجليل أو الباحث المقتدر لما وجده مهينا هكذا، أو لكلفه البحث عنه متاعب كثيرة ، وهنا أقول : الحمد لله الذي تتم بفعله الصالحات ، فقد أجرى الله تعالى نعمه على عباده المؤمنين المخلصين ، فانتشر العلم ، وتحقق الخير والبركة وأجرى الله الفائدة على أيديهم ، ومنهج سبط النبي الأمين ، وسليل الدوحة النبوية الشريفة مولانا أمير المؤمنين محمد السادس . دام عزه ونصره. وجعله الله منارا للعلم والعلماء فجزاه الله عنا خيرا كثيرا، لما يبذل من قصارى جهده لتنوير شعبه الكريم بمبادئ دينه وعلوم شريعته ، فحماها ودافع عنها، ويأمر دائما بمواصلة الوعي العلمي ونشره ، مشجعا العلماء والباحثين، والدليل على هذا واضح وجلي فبدءا بتحقيق المخطوطات والتراجم ، وتنظيم ندوات ومحاضرات علمية دينية وتأسيس مجالس علمية جديدة، حتى تتمكن من توسيع نشاطها ثم تأتي هذه الدروس الحسنية المحمدية كتتويج لهذا العمل الإسلامي الكبير النبيل، فالمنهج التربوي الذي نستخلصه من هذه الدروس : أنها تقدم ، أولا، تقديم لطيف وجميل ، يناسب الدرس ، والمقام ، ثم تأتي الديباجة المختصرة لأهم النقط التي سيتعرض لها السيد المحاضر ، وذلك باللغة المغربية وهي كعنصر التشويق تجلب السامع أو المشاهد إلى ما بعد ذلك ، وهذا يتم من طرف ما يعرف ب (السارد) والسارد في القديم كان له قيمة من الحلقات العلمية وكان بطريقة تناوبية بين طلبة العلم ، وكاد أو ربما اختفى هذا المصطلح العلمي الأصيل ، ولم نعد نراه إلا في هذه الدروس الحسنية المحمدية المنورة . ثم إن هذه الدروس لها وقت مشهور ومعلوم بعد صلاة العصر ، وهو وقت أنسب لعامة الناس ، فيه ينقطعون عن مشاغلهم الدنيوية ويتفرغون للاستفادة ، وهذا زاد الدروس تشجيعا وإقبالا وجمالا . إن أمير المؤمنين مولانا محمد السادس ، أعز الله أمره . يحرص كل الحرص كما كان أبوه المرحوم بكرم الله مولانا الحسن الثاني قدس الله روحه . على إحياء سنة جده المصطفى عملا بالحديث الشريف " الدين النصيحة" وعملا أيضا بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس في رمضان ، وهو سبط النبي الأمين حامي الملة والدين أمير المؤمنين وسادس المحمدين . حفظه الله ونصره . الملك العالم ، الذي لا يألو جهدا في ميدان العلم والمعرفة والدين فيجود علينا وعلى الأمة جميعا ، بوقته الثمين ، في هذا الشهر المبارك رمضان بهذه الجواهر المكنونة من الدروس الحسنية المحمدية المصونة ، فتكرم بها على العالم كله وبصفة خاصة على العالم الإسلامي ، فما أجلها من نعمة ! وما أعظمها!

فبلدنا المغرب المسلم والحمد لله، وبقيادة سيدنا الهمام مولانا محمد السادس . حفظه الله يعنى بالثقافة الإسلامية عناية جادة ، وذلك من أجل بعث ثقافي إسلامي جديد ليساير حياتنا المعاصرة ، فمن تشجيع حفظ القرآن ، وتجويده عن طريق التباري ، وبناء دور القرآن، إلى الكشف عن المخطوطات وإرسال البعثات الدينية لتوعية الجالية المغربية بالخارج ، إلى بناء المساجد وتوسيع المجال لمحو الأمية ، وليس هناك فرصة أثمن وأغلى ، من مناسبة شهر رمضان الأبرك ، فتذكرنا بمدرسة النبوة التي هدفها الأسمى أن نتدارس فيها تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتأسى بأعماله صلى الله عليه وسلم ونقتدي بسيرته في جهاده وصبره وطهارته وخلقه العظيم مصداقا لقوله تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، والله الموفق إلى جادة الصواب.

رد التشريد في مسألة التقليد

■ للعلامة أحمد بن مبارك السجلماسي رحمه الله

■ إعلم أن مسألة المقلد لايتضح أمرها إلا بخمسة أمور أحدها أن تعلم أن التكفير شرعي لاعقلي قال الغزالي في الاقتصاد وكذا في كتاب التفرقة وغيرهما بدليل أن فيه حكمين أحدهما في الدنيا وهو الحكم بإباحة دمه وماله وولده، ثانيهما في الأخرة وهو الخلود في النار، وكل من هذين الحكمين لايتلقى إلا من الشرع العزيز هـ

وقاله أيضا الأبياري وابن الشاط وغيرهم من الفحول، فبطل قول المعتزلة أنه عقلي، فحكمه العقل، ونسبوا إليه سائر الأحكام. ثانيها أن تعلم بعد ثبوت التكفير ماضابط مايكفر به في الشرع وذلك ثلاثة أمور، ما كان نفس اعتقاده كفر كاعتقادك العجز أو الجهل أو العديم أو الشريك في حقه تعالى أو غير ذلك مما ينافي الهيللة، وما فيه تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم، وما اجتمعت الأمة على أنه لايصدر إلا من كافر، كالسجود للصنم تعظيما، والقول بقدم العالم، والتردد للكنائس تعظيما، ولبس الزنار ونحو ذلك، نص على ذلك الغزالي في المستصفى والأبياري في كتاب البرهانين والباقلاني في كتاب إكفار المتأولين، وعياض والقرافي وعز الدين بن عبد السلام، وابن عرفة وغيرهم.

ثالثها أن تعلم بعد ثبوت ذلك أن اعتقاد المقلد ليس واحدا من هذه الثلاثة لأنه صحيح مطابق للواقع، فلم يكفره الشرع ولايصح تكفيره إلا على قول المعتزلة أن التكفير عقلي فمن كفره فقد مر على مذهبه حتى قال أبو جعفر السجستاني: تكفير المقلد بقية في مذهبه في كتابه الذي جمع فيه مقالات أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه على أن للأشعري رضي الله عنه مر في تفسير الإيمان على مذهب الصالحي من المعتزلة القائل بأن الإيمان خصلة واحدة. هي المعرفة بالله وان الجهل بالله هو الكفر به، واختار هذا القول مع أن للإيمان الشرعي خصال متعددة كما شرحه النبي صلى الله عليه وسلم عن سيدنا جبريل عليه السلام في الحديث المعروف الذي قال في أخره ذاك جبريل جاء يعلمكم دينكم والله أعلم.

وليس المقلد أيضا عاصيا بترك النظر لأن أدلة وجوبه نحو قوله "قل انظروا" الأية أو لم ينظروا أو لم يسيروا وغير ذلك كلها في الكفر لا فيمن اعتقد الحق من المومنين، نص عليه الحافظ ابن حجر والقرطبي والقاضي عياض وغيرهم، قالوا لأن الأخبار تواترت تواترا معنويا على أنه صلى الله عليه وسلم لم يزد على أنه دعا الخلق إلى الشهادتين وعبادة الله عز وجل، وقط مادعا أحدا ممن آمن إلى نظر واستدلال.

رابعها: هل علم الكلام رافع للتقليد أو ليس برافع؟ والجواب أنه لايرفعه إلا لو كانت أدلته تنتهي إلى المشاهدة أو الضرورة، وحيث كان كثير منا يرفع إلى قواعد غير محسوسة ولاضرورية مثل ان القبول نفسي أو ليس بنفسي وان السكون وجودي أو عدمي وهل بينه وبين الحركة واسطة أم لا؟ وان الفرض يبقى زمانين أولا؟ وان الحال لا موجودة ولامعدومة، وان الوجود عين الموجود أو زائد عليه وان الوجود هو المصحح للرؤية وكإبطال الوجود الذهني وإبطال ان العلم انطباع الصورة إلى غير ذلك من الأمور المذكورة في علم الكلام التي ينبني عليها كثير من أدلته لزم قطعا ان فيه تقليدا، فإن الأمور المذكورة لابد أن توخذ مسلمة غير مبحوث فيها وذلك عين التقليد أشار إليه القرطبي شارح مسلم، نقله الحافظا بن حجر وأشار إليه الغزالي في كثير من كتبه كالمستصفى والمنقد من الضلال والاقتصاد وغيرها.

فكل واحد من النظار يحرم التقليد ويوجبه، وذلك تناقض لأنه إنما يأمر بالنظر على شرط موافقته، وإن من خالفه هالك عنده، وهذا أمر بالتقليد وكل منهم إذا كفر المقلد فقد كفر نفسه وهو لايشعر، لأنه من المقلدين وقال في المنقد من الضلال: ثم إني بدأت بعلم الكلام فحصلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ماأردت أن أصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي فمقصوده حفظ عقيدة أهل السنة التي ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

كما نطق به القرآن والأخبار فألقى الشيطان في وساوس المتبدعة أمورا مخالفة للسنة، فلهجوا لها وكادوا يشوشون عقيدة أهل الحق، فكشف المتكلمون من أهل السنة عن تلبيساتهم فنشأ علم الكلام وأهله فقاموا رضي الله تعالى عنهم بما يجب في ذلك، ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم اضطرهم إلى تسليمها، إما التقليد أو إجماع الأمة والأخذ من القرآن والأخبار، وكان أكثر أخذهم في استخراج مناقضة الخصوم ومواخذتهم بلوازم مسلماتهم، وهذا قليل النفع في حق من لايسلم سوى الضروريات فلم يكن الكلام في حقي كافيا ولا له أي الذي أشكوه شافيا هـ

خامسها أنك إذا حققت عقائد التوحيد وجدتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام أحدها مايوخذ من العقل ثانيها مايوخذ من النقل ثالثها مايصح فيه الأمران ولايحتاج إلى قراءة علم الكلام إلا في القسم الأول الذي هو مصححات الفعل، من وجود وقدرة وإرادة وعلم وحياة، فهذه الصفات لايمكن أخذها من الشرع، وإلا لزم عليه الدور لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لايكون قوله لازما حتى يثبت صدقه، ولايثبت صدقه، حتى تثبت المعجزة، ولاتثبت المعجزة حتى يثبت الفعل لله عز وجل، ولايثبت الفعل لله عز وجل حتى تثبت بمصححات الفعل، فلو توقف ثبوتها على قول الرسول لزم الدور، وإذا صح إثبات هذه الصفات لله تعالى من طريق أخرى مخالفة لعلم الكلام لم يحتج لعلم الكلام أصلا، وهذه الطريقة هي البداهة والضرورة التي قضى بها الأثر، بأن دلالة الأثر على المؤثر ضرورية، مركوزة حتى في فطرة الصبيان والبهائم فضلا عن غيرهم، وقد نص على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني كما نقله عنه ابن التلمساني في شرح المعالم عليه الفخر ولايحتاج إلى نص فقد سألنا عنه ولله الحمد صغار الصبيان وضعفة العقول كالعبيد والنسوان فجزموا به بداهة، واستبشعوا السؤال عنه لبداهته، وما من عاقل ينظر إلى دار مبنية حسنة البناء حسنة الصنعة رقيقة النقش وثيقة المادة وثيقة الصورة إلا ويرحم بانيها، ويشهد له بتمام الصنعة وحسن المعرفة ونفوذ القدرة ورسانة العلم، فكيف لو نظر إلى دار ذاته التي أخذ ترابها وعمدها وخشبها وجيرها وحبالها وكل مايدخل فيها من نطفة ماء مهين، فإنه من النطفة مصور عظمه ولحمه ودمه وعروقه ورباطته وأوردته وشعره وبشره وسمعه وبصره وشمه وذوقه وفهمه ومنطقه، ولو أن الخلائق بأجمعهم اجتمعوا على أن يبنوا دارا تكون مادتها مأخوذة من مجرد الماء حتى يأخذوا من ذلك الماء ترابها وحيرها وحجرها وكل مايدخل فيها لظهر عجزهم فسبحان الملك الخلاق.

فكيف لو نظر العاقل إلى عجائب التشريح التي في عينيه وأنفه ورأسه وظهره وفقراته وصوره ومااحتوى عليه باطنه من عجائب التشريح لامتلأ قلبه إيمانا وابتهاجا وسرورا بمعرفة ربه عز وجل قال أبو حامد رضي الله عنه.

ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع إلا ويحصل له العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان لاسيما بنية الانسان، وفي الحلية عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لانهما شحمات، ولولا ذلك لذابتا، وجعل المرارة في الاذنين حجابا من الذواب، فإنه مادخلت الراس دابة إلا التمست الوصول إلى الدماغ فإذا اذاقت المرارة التمست الخروج وجعل الحرارة في المتحرفين يستنشق بها الريح لولا ذلك لانتن الدماغ، وجعل العذوبة في الشفتين يجد بهما طعم كل شيءويسمع الناس حلاوة لفظه ومنطقه، ومثل ذلك يحصل للناظر إذا نظر في عجائب الأرض ومافيها والسماء وما فيها فينظر إلى السماء واقعة على الأرض كأنها خيمة عظيمة لانهاية لها فيها سراج منير يضيء بالنهار على أهل الخيمة وسراج كبيرة وصغيرة تضيئ بالليل على أهلها، وتأمل في قدر الخيمة وعظمها وعلو سمكها وسعة دائرتها ودخول جميع المخلوقات في جوفها هم ومواشيهم وجميع مايحتاجون إليه من حرث وتجارة وسير وغير ذلك، فيعلم يقينا أن ذلك تقدير العزيز العليم المنفرد بالالوهية، سبحانه لا إله إلا هو قال تعالى أفي الله شك فاطر السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار الأية.

ورحم الله القائل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وإذا لم تتوقف المصححات للفعل على علم الكلام لحصول معرفتها بداهة من دلالة الأثر باعتراف أكابرهم ولم يتوقف غيرها عليه باعتراف جميعهم كأن توقف الإيمان على علم الكلام غير متعين ولا لازم، لأنه إذا علم وجود الحق تعالى واتصافه بالعلم والقدرة والارادة والحياة من دلالة الأثر انتقل إلى معرفة صدق الرسول بالمعجزة.

يتلقى منه علم الأصول والفروع ويكون في ذلك آمنا مطمئنا لاتعرض له شبهة ولايعتريه شيء فيتلقى منه صلى الله عليه وسلم مابقي من العقائد كالقدم والبقاء والمخالفة والقيام بالنفس والوحدانية والسمع والبصر والكلام وحدوث العالم بأسره، وغير ذلك من العقائد التي لاتتوقف عليها دلالة المعجزة، وعلى هذا كانت القرون الفاضلة مثل القرن الأول والثاني والثالث إلى أن ظهرت البدع، ولهذا كانت أدلتهم رضي الله عنهم قريبة المرام سهلة المآخذ، ولنذكر منها ماحضر في الحال وذلك عشر: الأول يروى أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق رضوان الله عليه. هل ركبت البحر قال نعم قال هل رأيت أهواله قال نعم هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وغرقت الملاحين فتعلقت أنا ببعض ألواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فإذا أنا مرفوع في تلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل فقال جعفر هل كان اعتمادك قبل على السفينة والملاح وعلى اللوح وحين ذهبت هذه الأشياء عنك هل كنت ترجو السلامة أم أسلمت نفسك للهلاك؟ قال بل رجوت السلامة قال ممن كنت ترجوها فسكت الرجل فقال جعفر إن الصانع هو الذي كنت ترجو ذلك الوقت وهو الذي أنجاك من الغرق، فأسلم الرجل على يديه.

الثاني: أن أبا حنيفة رحمه الله كان شديدا على الدهرية وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه فبينما هو قاعد في مسجد إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله، فقال لهم اجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ماشئتم فقالوا هات، فقال ماتقولون في رجل يقول أني رأيت سفينة مشحونة بالأجمال مملوءة بالأثقال قد احتوشتها في لجة البحر أمواجا متلاطمة ورياح مختلفة وهي من بينها تجري جريا سريعا ليس لها ملاح يجريها ولادافع يدفعها هل يجوز ذلك في العقل؟ قالوا هذا شيء لايقبله العقل فقال لهم أبو حنيفة ياسبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري من غير ملاح فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ، فبكوا جميعا وقالوا صدقت، وأغمدوا سيوفهم وتابوا.

الثالث: أن الدهرية سألوا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن الدليل على الصانع فقال ورقة الفرصاد طعمها ولونها وريحها واحد وطبعها واحد عندكم فقالوا نعم. فقال فتأكلها دودة القز فتخرج منها الابر يسم والنحل فيخرج منه العسل والشاه فيخرج منها واحد عندكم فقالوا نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها البعر وتأكلها الضباع فينعقل في مواصلها المسك ، فمن الذي جعلها كذلك مع أن طبعها واحد، فاستحسنوا منه ذلك وأمنوا على يديه وهم سبعة عشر.

الرابع: سئل أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه قال انظروا قلعة ملساء بيضاء لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الإبريز، ثم انشقت وخرج منها حيوان سميع بصير فلابد من الفاعل الذي يدبرها وعني بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ.

الخامس: سأل هارون الرشيد مالكا رضي الله عنه عن ذلك فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتباين اللغات.

السادس: سئل أعرابي عن الدليل على الصانع فقال البصرة تدل على البعير والروث على الحمير واثار الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا تدل على اللطيف الخبير.

السابع: سئل طبيب بم عرفت ربك فقال النحلة بأحد طرفيها عسل وبالطرف الأخر لسع وهو مقلوب عسل.

الثامن: سئل أبو نواس عنه فقال:

تأمل في رياض الأرض وانظر
إلى آثار ماصنع المليك
عيون من نجين جاريات
على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

التاسع: سئل طبيب بم عرفت ربك فقال باهليج يحفظ الحالب ويلين البطن.

العاشر في كتاب ديانات العرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرو ابن حصين رضي الله عنه كم لك من إله قال عشرة قال من ترجوه منهم للأمر العظيم إذا نزل بك؟قال الله: قال صلى الله عليه وسلم مالك الاه غيره.هـ

هـ ما قصدته مختصر من كتاب رد التشريد في مسألة التقليد تأليف شيخنا العالم العلامة المحقق أبي العباس سيدي أحمد بن مبارك سقى الله ثراه وقدس سره، توفي بالطاعون ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الثانية سنة 1139. كتبه عبد ربه تعالى محمد بن الحسن البناني لطف الله به من خطه رحمه الله بواسطة واحدة وكان الفراغ منه يوم الاربعاء التاسع عشر من ربيع النبوي عام 1147 قاله وكتبه عبد ربه تعالى أحمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي ثم اللمطي لطف الله به.

المقتضيات الجديدة في أحكام الوصية

■ إعداد الأستاذ: محمد أكديد

الحلقة الثانية

إن أهم المقتضيات الجديدة التي جاءت بها مدونة الأسرة في موضوع الوصية وردت في المواد التالية:

رقم المادة	المقتضيات الجديدة
279	اشترط في الوصي أن يكون **راشدا**، بينما كان في مدونة الأحوال الشخصية السابقة يشترط فقط في الوصي التمييز، وكان نفس الشرط هو الذي ورد في مشروع مدونة الأسرة قبل عرضه على البرلمان.
280	نص في الفصل 176 من المدونة السابقة على أنه: "لا وصية لوارث" بينما أضيف في مدونة الأسرة الحالية عبارة :" **إلا إذا أجازها بقية الورثة، غير أن ذلك لا يمنع من تلقي الإشهاد بها**"
283	ذكر في الفصل 179 من المدونة السابقة أن من شروط الموصى له :"أن لا تكون له صفة الوارث وقت موت الموصي" وأضيف في المدونة الجديدة لهذا الشرط ما يلي:" **مع مراعاة أحكام المادة 280 أعلاه**"
294	نص في الفصل 190 من المدونة السابقة على بيان ما يصح أن يكون الموصى به وأضيف في المدونة الحالية إلى ذلك عبارة :"**ويتحمل المنتفع نفقات الصيانة**"
296	ورد في الفصل 192 من المدونة السابقة أن مما يشترط في صحة الوصية:"أن يصدر بها إشهاد عدلي" وأضيف إلى هذا الشرط بمقتضى هذه المادة ما يلي:"**أو إشهاد آية جهة رسمية مكلفة بالتوثيق**"
296	في معرض إثبات الوصية بالشهود استثناء من شرط الإشهاد عليها، ومتى تؤدى هذه الشهادة أضيف في المدونة الحالية ما يلي :"**أمام القاضي الذي يصدر الإذن بتوثيقها، ويخطر الورثة فورا، ويتضمن الإخطار مقتضيات هذه الفقرة**". كما أضيفت بعدها مباشرة الفقرة التالية:" **للموصى أن يوجه نسخة من وصيته، أو تراجعه عنها للقاضي قصد فتح ملف خاص بها**". كما حذف في المدونة الحالية المقتضيات الواردة في الفصل 194 من المدونة السابقة، ونصها :"**كل إشهاد بوصية أو رجوع عنها تم بعدلين يجب أن يحرر ويسجل بكناش المحكمة المختصة داخل ثلاثة أيام تبتدئ من وقت تلقي الإشهاد**". فهذه العبارة لم تعد موجودة في المدونة الحالية
298	في معرض بيان من ينفذ الوصية ذكر في الفصل 195من المدونة السابقة وكذا في المدونة الحالية من أسند إليه الموصي تنفيذها. وبيان الحل في حالة عدم تعيين الموصي لهذا الشخص ، ، لكن أضيف في المدونة الجديدة مباشرة إلى الجملة المذكورة عبارة :"**ولم يتفق الأطراف على تنفيذها**".
304	استبدلت عبارة "الغلة" التي كانت في الفصل 201 من المدونة السابقة بعبارة "**المنفعة**"
306	الفصل المقابل لهذه المادة في السابق هو 203، والذي كان ينص على أن حكم الوصية في حالة الإيصاء بشيء معين لشخص ثم صدور الإيصاء به لشخص آخر هو أن يقسم الشيء بين الشخصين. بينما المادة 306 جاءت بحكم مخالف، وهو "**اعتبار الوصية الثانية ملغية للوصية الأولى**"
308	في معرض بيان أن الوصية لله تعالى... تصرف في وجوه الخير في كلا القانونين، أضيف في المادة الحالية إلى الجملة الأخيرة مباشرة ما يلي:" **ويمكن أن تتولى الصرف مؤسسة متخصصة في ذلك قدر الإمكان، مع مراعاة أحكام المادة 317 بعده**"
311	في كلا القانونين تم بيان أن الذي يعتبر في الوصية بالمنافع هو قيمة العين، لكن هذه المادة أضافت مباشرة العبارة التالية :"**في تحديد نسبة الموصى به إلى التركة**"
314	في الفقرة رقم "3" تم النص على حق الموصى في الرجوع عن الوصية، دون إضافة الكيفية التي يتم بها
315	مضمون هذه المادة لم تكن المدونة السابقة تتضمنه، وهو يتضمن تعريف التنزيل.
316	بخصوص توضيح كيف ينعقد التنزيل تم إضافة مقتضى جديد في هذا الشأن وهو عبارة:"**ينعقد التنزيل بما تنعقد به الوصية مثل قول المنزل ...**" وفي الفقرة الأخيرة من نفس المادة استثني من تطبيق أحكام الوصية على التنزيل حالة التفاضل بعبارة: "**ما عدا التفاضل**"
317	تم إضافة "**العصبة**" إلى ذوي الفروض في شأن إدخال ضرر التنزيل على الجميع
319	تم بيان المرجع الذي يمكن اللجوء إليه بالنسبة للحكم الواجب تطبيقه في حالة عدم وجود نص في مواد التنزيل، وهذا المرجع هو "**أحكام الوصية**"

كتب رجل من العباد إلى صديق له

■ إني لما رأيت الناس في اليقين متفقين، وفي العمل متفاوتين ، ورأيت الحجة واجبة، فلم ار في يقين قصر بصاحبه عن عمل حجة ، ولا في عمل كان بغير يقين منفعة ، ورايت من تقصير أنفسنا في السعي لمرجو ماوعدت والهرب من مخوف ما حذرت حتى أسلمها ذلك إلى أن ضعفت منها النية وقل التحفظ واستوى عليها السقط والإغفال واشتعلت منها الشهوة ، ودعاها ذلك إلى التمرغ في فضائح اللذات، وهي تعلم أن عاقبتها الندم، وثمرتها العقوبة، ومصيرها إلى النار إن لم يعف الله . عجبت لعمل امرئ كيف لا يشبه يقينه ، ولعلم موقن كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه، حتى لا تكون الرغبة منه إلا إليه والرهبة منه إلا له. وزادني عجبا أنني رأيت طالب الدنيا أجد من طالب الآخرة ، وخائفها أتعب من خائف الآخرة ، وهو يعلم يقينا أنه رب مطلوب في الدنيا قد صار حين نيل حتفا لطالبه، وأنه رب مخوف فيها قد لحق كرها بالهارب منه فصار حظا له، وان المطلوب إليه من أهلها ضعيف عن نفسه محتاج إلى ربه مملوك عليه ماله مخزونة عنه قدرته. واعلم أن جماع ما يسعى له الطالب ويهرب منه الهارب أمران: أحدهما أجله، والآخر رزقه، وكلاهما بعينه شاهد على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه. فلم أدر حين صار هذا اليقين في موضع الإيمان يقينا لاشك فيه ، كيف صار في موضع العمل شبيها بالشك الذي لا يقين فيه! وكيف ، حين اختلف في أمر الآخرة ، لم يختلف في أمر الدنيا ، فيكون خائف الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه صبرا له على تجشم المكروه، وتجرعا منه لغصص الغيظ، واحتمالا منه لفادح النصب ، وعملا له بالسخرة، وتحفظا من أن يضمر له غش أو يهم له بخلاف ، ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يظهر له بقول أو فعل، ولو علمه منا قدر له على قطع أجل لم يفن ورزق لم ينفد، فإن ابتلي بالسخط من سلطانه فكيف حزنه ووحشته ، وإن أنس منه رضا عنه فكيف سروره واختياله ؟ فإن قارف ذنبا إليه فكيف تضعضعه واستحذاؤه؟ فإن ندبه لأمر فكيف خفته ونشاطه ؟ وإن نهاه عنه فكيف حذر واتعاظه؟ وهو يعلم أن خالقه ورازقه يعلم سره وجهره، ويراه في متقلبه ومثواه، ويعاينه في فضائحه وعورته، فلم يزعه عنها حياء منه ولا تقية له ، قد أمره فلم يأتمر ، وزجره ، فلم يزدجر ، وحذره فلم يحذر ، ووعده فلم يرغب ، وأعطاه فلم يشكر ، وستره فلم يزدد بالستر إلا تعرضا للفضائح وكفاه فلم يقنع بالكفاية ، وضمن له في رزقه ما هو في طلبه مشيح، ويقظه من أجله لما هو عنه لاهٍ وفرغه من العمل لما هو عنه بغير مشغول ، فسبحان من وسع ذلك حمله وتغمده من عباده عفوه، ولو شاء ما فعلوه: ولايسال عما يفعل وهم يسألون.

فأجابه: إني رأيت الله تبارك وتعالى جعل اليقين بأعظم المواضع في أمر الدنيا والدين، فهو غاية علم العالم وبصر البصير وفهم السامع ، ليس كسائر الأشياء التي تدخلها الشبهات ويجرحها الإغفال ويشوبها الوهن ، وذلك أن الله تعالى جعل مغرسه القلب، وأغصانه العمل ، وثمرته الثواب، وإنما جعل القلب لليقين مغرسا، لأنه جعل الخمس الجوالب لعلم الأشياء كلها إلى القلب : السمع والبصر والمجسة والمذاقة والاسترواح، فإذا صارت الأشياء إليه ميز بينها العقل، ثم صارت بأجمعها إلى اليقين ، فكان هو المثبت لها والموجه كل واحدة منهن جهتها . ولولا معرفة القلب بالعقل الذي جعله الله لذلك ، لم يفرق سمع بين صوتين مختلفين ، ولا بصر بين صورتين متقاربتين ، ولا مجسة بين شيئين غير متشابهين. ولليقين بعد ذلك منزلة يعرف بها حال الضار والنافع في العاقبة عند الله تعالى فلما صار اليقين في التشبيه كالشجرة النابتة في القلب ، أغصانها العمل وثمراتها الثواب ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتا بلا عمل؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتة بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعا إلا بيقين، وكما أنه تخلف الثمرة في الطيب والكثرة إذا كان الأصل نابتا والأغصان ملتفة ، فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله ، وقد تعرض للأعمال عوارض من العلل ، منهن الأمل المثبط، والنفس الأمارة بالسوء والهوى المزين للباطل ، والشيطان الجاري، من ابن آدم مجرى الدم، يضررن بالعمل والثواب ، ولا يبلغ ضررهن اليقين ، فيكون ذلك كبعض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتذوى أغصانه وتنثر ورقها وتمنع ثمرتها والأصل ثابت ، فإذا تجلت الآفة عادت إلى حال صلاحها ، فإذا يعجبك من عمل أمري لا يشبه يقينه وأنه يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه؟ فإنما العجب من خلاف ذلك! ولعمري لو أشبه لو أشبه عمل امرئ يقينه فكان في خوفه ورجائه كالمعاين لما يعانيه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر إلى ما وعد وأوعد، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء، حتى يأتي على نفسه أوله لحظة ينظر بها إلى النار خوفا لها أو إلى الجنة أسفا عليها إذا حرمها، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعاين له يوم القيامة ، وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل ؟ وأما قولك « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه؟. فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره ، وهو بعجلته موكل بحب الأعجل فالأعجل مما يشتهي ، وزاده حرصا على المخلص من المكروه وطلبا للمحبوب حاجته إلى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طبع عليه القلب من حبه وسهل على المخلوقين من طلبه ، لما انتفع بالدنيا منتفع ولا عاش فيها عائش . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحابها عند ابن آدم على وجهين ، إما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليت به لذنب سلف مني ، وإما المحبوب فيقول فيه: عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت مني فهو ثواب عجل ، وهو مع هذا يعلم أن حلوم المخلوقين إلى الضيق، وأن قلوب أكثر مسلطيهم إلى القسوة ، وأن العيب عنهم مستور فليس يلتمس ملتمسهم إلا علم الظاهر ولا يضع إلا به، ولا يلتف من امرئ إلى صلاح سريرته دون صلاح علانيته ، ومن طباع الإنسان اللؤم، فليس يرضى إذا خيف إلا بأن يذل ، ولا إذا رجي إلا بأن يتبع ، ولا إذا غضب إلا بأن يخضع له، ولا إذا أمر إلا بأن ينفذ أمره، ولا ينتفع المتشفع بإحسانه عنده إذا أساء ولا المطيع بكثرة طاعته في المعصية الواحدة إذا عصى ، ولا يرى الثواب لازما له ولا العقاب محجورا عليه، فإن عاقب لم يستبق ، وإن غضب لم يثبت ، وإن أساء لم يعتذر ، وإن أذنب إليه مذنب لم يغفر ، واللطيف الخبير يعلم السريرة فيغفر بها العلانية ، ويمحو بالحسنة عشرا من السيئات ويصفح بتوبة الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دعي أجاب ، وإن استغفر غفر، وإن أطيع شكر وإن عُصي عفا ،ومن وراء عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمته التي وسعت كل شيء ، وشهادة الحق التي لايزكو إلا بها عمل ، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كله مثبت لليقين باسط للأمل مثبط عن العمل إلا من شاء الله وقليل ماهم فلا تحمل نطف عملك على صحة يقينك فتوهن إيمانك ، ولا ترخص لنفسك في مقارفة الذنوب، فيكون يقينك خصما لك وحجة عليك، وكذب أملك وجاهد شهوتك ، فإنهما داءاك المخوفان على دينك المعتونان على هلكتك. وأسأل الله الغنيمة لنا ولك.

انظر عيون الأخبار ابن قتيبة
ج1ص374

خواطر وخواطر

■الأستاذ: محمد الأخضر الريسوني

زفرات وانتهاكات لحقوق الانسان في بلاد الرافدين

جمعوا عدتهم ، وجهزوا عتادهم من الطائرات والقاذفات والصواريخ معلنين أنهم ذاهبون إلى تحرير بلاد الرافدين العراق، ونشر الحرية والديموقراطية في ربوعها ، وإشاعة السلام في قراها ومدنها ، لكنهم أشاحوا بوجوههم وأداروا ظهورهم عن القانون والشرعية الدولية ، ثم توجهوا إلى أرض العراق ليطهروها وينقذوها من الاستبداد ، بينما كانت أعينهم تحملق في مخزونات البترول ومنابعه في كركوك وغيرها التي تتدفق، وتتوهج بالذهب الأسود، وفيما كان الشعب آمنا ومسالما في انتظار حمائم السلام إذا بهم يشحذون أسنتهم لذبح شعب عربي مسلم وإهانته، وانتهاك عرضه، وملاحقة شبابه ، ودهم بيوته، ووأد شرف بناته ونسائه وحرائره، وفي مقدمة أعمالهم كانت فضائح ومآسي سجن " أبو غريب " التي سارت بذكرها الركبان في أصقاع الدنيا.

لقد شاهدت الغزاة كالتتار تماما عبر قنوات العالم التلفزية وهم ينتهكون حرمات المساجد ، وهي بيوت الله ، ويشرعون في قتل من استجاروا أو لا دوا بها ، وفي أحد أركان المسجد كان شيخ مسن يتدثر بكوفية حمراء، وإذا برصاصة أحد الغزاة تخترق رأسه، وتفجر عينيه بالدماء الحمراء المنهمرة ، وربما كان قبل قدوم الغزاة ساجدا راكعا لله رب العالمين ، وفي ركن آخر من المسجد كان شاب مجروح لا تزال بقية من حياة تدب في عروقه تنبه الغزاة وصاحوا : إنه يتظاهر بالموت فلنجهز عليه، وكان شاب ملقى إلى جانب أحد سواري المسجد يتلوى من الألم في ساعده ويستنجد ، لكن ذلك لم يسعفه للبقاء حيا ، فانطلقت الرصاصات من بندقية رشاشة لتنهي حركاته واستعطافاته.

وهكذا كانت مشاهد القتل والموت في العراق المسلم ، يصرخ ولا من يسمع صراخه، ويبكي أبناؤه ونساؤه وشيوخه ، ولا من يسمع بكاءهم ويتعرض للإبادة والأرض المحروقة ، ولا من يرفع صوتا واحدا يقول :كفى هذا ظلم ، ماذا أنتم فاعلون؟ وفي مجلس الأمن اجتمع أعضاؤه لا ليشجبوا أعمال الإبادة في العراق، وإنما لمناقشة أحداث ساحل العاج ودارفور فيما تنهال القذائف والقنابل المحرقة كالمطر على المدنيين العزل في العراق.

بالأمس القريب دخل شارون متحديا فناء المسجد الأقصى ، وتصدى له أطفال الحجارة ، ومضى بغروره وشروره لينجس رحاب القبلة الأولى للمسلمين ، وظهر الطفل الصغير محمد الدرة في محاولة الاحتماء بحضن والده، لكن رصاص الصهاينة لم يرحم جسده الملائكي الطاهر.

إن الذي يقوم بإبادة الشعب الفلسطيني وحرمانه واقتلاع نباتاته وأشجاره وهدم منازله ومساجده وكل أنواع حياته هو نفسه الذي يحدث في بلاد الرافدين تماما لا فرق ولا يختلف في شيء عنه في الأجهاز على شعب العراق الجريح ، أسلوب واحد ، أسلوب القتل والموت لدى كليهما.

إن ما يرتكب في حق شعب مسلم لهو الظلم عينه، فأين هي الحرية والديموقراطية إذن ؟ وأين حقوق الإنسان التي بشروا بها ؟ وتمثال الحرية التي تفخر به عبر تاريخها الدولة الكبرى عن ماذا يرمز؟ ألا يرمز إلى الحرية والسلام؟.

المجددون في القرون السبعة الأولى وتسميتهم في نظر التاج السبكي

■ للعلامة أحمد بن محمد المرير

■ اختلف العلماء في التعيين، وقد ثبت عن الإمام أحمد أنه عين للمائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وللمائة الثانية الإمام الشافعي.)

قال التاج السبكي : ولكن هنا دقيقة ننبهك عليها ، فنقول : لما لم نجد بعد المائة الثانية من أهل البيت من هو بهذه المثابة ، ووجدنا من قيل أنه المبعوث في رأس كل مائة، ممن تمذهب بالمذهب الشافعي، وانقاد لقوله ، علمنا أنه الإمام المبعوث الذي استقر الناس على قوله ، وبعث بعده في رأس كل مائة من يقرر مذهبه ، ثم ذكر للمائة الثالثة ابن سريج أو الأشعري، وللرابعة أبا حامد الإسفيرايني، أو الأستاذ الصعلوكي ، وللخامسة الإمام الغزالي ، وللسادسة الإمام الفخر أو الرافعي ، وللسابعة تقي الدين ابن دقيق العيد . ثم نظم ذلك وقال بعد ما تقدم:

فانظر لسر الله أن الكل من
أصحابنا فافهم وأنصف ترشُدِ
هذا على أن المصيبَ إمامنا
أجلى دليل واضح للمُهتدي

ومراد التاج الدين، رحمه الله ، أن المجددين منحصرون في مذهب الشافعي ، وأن ذلك دليل على أن الإمام الشافعي هو المجتهد المصيب ، وأن غيره من المجتهدين مخطئ في الاجتهاد غير مصيب، وهذا غلط من هذا الإمام ، دون دفاع واستدلال ، بما لا يدل له قرآن ولا سنة ولا إجماع ، وقد كرر هذا المعنى في الطبقات ، وهو مردود عند العلماء ، قال العلامة سيدي أحمد بن مبارك اللمطي ما لفظه:

الذين قالوا إن المصيب واحد ، اتفقوا على أنه غير معين في مجتهد من المجتهدين، والسبكي، رضي الله عنه، أراد أن يخالف ذلك الإجماع ، بتعيين الحق في المذهب الشافعي، وكفاك دليلا على بطلانه ، مخالفته للإجماع ، وإنما غاية ما ذكره غيره من الشافعية ، السعي في الترجيح ، وقد أشار إلى ذلك إمام الحرمين في البرهان ، ورد عليه الابياري من المالكية في شرحه بإنصاف غاية الرد ، وكذلك ابن يحيي المالكي شارح البرهان . هـ بنقل صاحب الأزهار.

أما جعل المجدد واحد، وأنه من مذهب كذا ، فالحديث لايدل على شيء من ذلك ، بل الذي يدل عليه الحديث ، أن الله يقيض لهذه الأمة الإسلامية مطلقا، لا فرق بين أحمرها واسودها، ولا بين عربيها وأعجمها، ولا بين شرقيها وغربيها، ولا بين مالكيها وشافعيها ، أو حنفيها أو حنبليها، أو إماميها أو ظاهريها، في كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها في كل ما تتوقف عليه من الفرائض والسنن ، وما تحتاج إليه مما يوصلها إلى إقامته لله من كل ما يتعين فرضه، أو يستحسن ، وما يحميه من غارة كل مغيرة ، ويدفع عنه عبث كل خارج مفسد مبير ، حتى يقيم الناس الدين، ولايتفرقوا فيه، وليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وهذا المجدد المصلح المبيد للأخطار ، لا يختص بقطر ، بل يمكن تعدده بتعدد الأقطار ، وقد أفصح بما أشرنا إليه الإمام ابن الأثير في جامع الأصول ، وهو في معنى الرد على ما أسسه السبكي فقال : قد تكلم العلماء في تأويل هذا الحديث ، كل واحد في زمانه، أشاروا إلى القائم الذي يجدد للناس دينهم، كل رأس مائة سنة، وكان كل قائل قد مال إلى مذهبه ، وحمل تأويل الحديث عليه ، والأولى أن يحمل الحديث على العموم ، فإن قوله صلى الله عليه وسلم " إن الله سيبعث في هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا، بل قد يكون واحدا أو قد يكون أكثر منه فإن لفظ من تقع على الواحد والجمع ، ولذلك لا يلزم منه أنه أراد بالمبعوث الفقهاء خاصة، كما ذهب إليه بعض العلماء ، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء ، وإن كان انتفاعا عاما في أمور الدين ، فإن انتفاعهم أيضا بغيرهم كثير ، مثل أولي الأمر، وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ ، وأصحاب الطبقات والزهاد فإن كل قوم ينتفعون بمن لا ينتفع به الآخر، إذ الأصل في حفظ الدين، حفظ قانون السياسة ، وبث العدل والتناصف الذي تحقن به الدماء ، ويتمكن من إقامة قوانين الشرع ، وهذه وظيفة أولي الأمر، وكذلك أصحاب الحديث ، ينتفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع ، والقراء ينتفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات ، والزهاد ينتفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا ، فكل واحد ينتفع بغير ما ينتفع به الآخر ، لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا معروفا مشهورا مشارا إليه في كل فن من هذه الفنون، فإذا حمل تأويل هذا الحديث على هذا الوجه ، كان أولى وأبعد من التهمة، وأشبه بالحكمة، فإن اختلاف الأيمة رحمة ، وتقرير أقوال المجتهدين متعين ، فإذا ذهبنا إلى تخصيص القول على أحد المذاهب ، وأولنا الحديث عليه، بقيت المذاهب الأخرى خارجة عن احتمال الحديث لها، وكان طعنا فيها ، فالأحسن، والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة ، يجددون لناس دينهم ، ويحفظون مذاهبهم التي قلدوا فيها مجتهدهم.

ونحن الآن نذكر المذاهب المشهورة في الإسلام ، التي عليها مدار المسلمين في أقطار الأرض، وهي مذهب الشافعي وأبي حنيفة ، ومالك وأحمد ، ومذهب الإمامية ، ومن كان المشار إليه في باقي الطبقات . وأما ما كان قبل هذه المذاهب المذكورة ، فلم يكن الناس مجتمعين على مذهب إمام بعينه ، ولم يكن قبل ذلك إلا المائة الأولى ، وكان على رأسها من أولي الأمر ، عمر بن عبد العزيز ، ويكفي الأمة في هذه المائة وجوده خاصة، فإنه فعل في الإسلام ماليس يخفى، وكان من الفقهاء بالمدينة، محمد بن علي الباقر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر، وكان بمكة منهم: مجاهد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن رباح ، وكان باليمن طاووس ، وبالشام مكحول، وبالكوفة عامر بن شُرَحبيل الشعبي ، وبالبصرة الحسن البصري وابن سيرين.

وأما القراء على رأس المائة الأولى ، فكان القائم بها عبد الله بن كثير ، أما المحدثيون فمحمد بن شهاب الزهري، وجماعة كثيرة مشهورة من التابعين ، وتابعي التابعين.

وأما من كان على رأس المائة الثانية ، فمن أولي الأمر ، المأمون بن الرشيد، ومن الفقهاء الشافعي ، والحسن بن زياد التولدي و من أصحاب أبي حنيفة ، وأشهب بن عبد العزيز من أصحاب مالك ، وأما أحمد، فلم يكن يومئذ مشهورا ، فإنه مات سنة إحدى وأربعين ومائتين.

ومن الإمامية علي بن موسى الرضى، ومن القراء يعقوب الحضرمي ، ومن المحدثين يحيى بن معين ، ومن الزهاد معروف الكرخي.

وأما من كان على رأس المائة الثالثة ، فمن أولي الأمر المعتمد ، ومن الفقهاء ابن شريح، من أصحاب الشافعي ، وأبو جعفر، أحمد بن سلامة الطحاوي، من أصحاب أبي حنيفة ، وأبو بكر بن هارون الخلال ، من أصحاب أحمد ، وأبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي ، من الإمامية.

ومن المتكلمين، أبو الحسن ، علي بن إسماعيل الأشعري، ومن القراء أبو بكر محمد بن موسى بن مجاهد ، ومن المحدثين أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي ، ومن الزهاد أبو بكر الشلبي.

وأما من كان على رأس المائة الرابعة ، فمن أولي الأمر ، القادر بالله، ومن الفقهاء أبو حامد بن أبي طاهر الإسفرايني، من أصحاب الشافعي و أبو بكر ، محمد بن موسى الخوارزمي ، من أصحاب أبي حنيفة ، وأبو محمد ، عبد الوهاب بن نصر، من أصحاب مالك ، وأبو عبد الله ، الحسين بن علي بن حامد، من أصحاب أحمد ، ومن الإمامية ، المرتضى الموسوي ، أخو الرضي الشاعر ، ومن المتكلمين ، القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني، من أصحاب مالك ، والأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن فورك ، ومن المحدثين ، محمد بن عبد الله النيسابوري ، المعروف بالحاكم بن البيع، ومن القراء ، أبو الحسن علي بن أحمد الحمامي، ومن الزهاد ، أبو بكر محمد بن علي الدينوري.

وأما من كان على رأس المائة الخامسة ، فمن أولي الأمر ، المستظهر بالله، ومن الفقهاء ، أبو حامد ، محمد بن محمد الغزالي ، من أصحاب الشافعي ، والقاضي فخر الدين الأرسابندي المروزي من أصحاب أبي حنيفة ، وأبو الحسن علي بن عبد الله الراغوني، من أصحاب أحمد ، ومن المحدثين ، رزين بن معاوية العيدري، ومن القراء، أبو العز ، محمد بن الحسين بن بندار القلاسني، هؤلاء كانوا المشهورين في هذه الأزمنة المذكورة، وقد كان قبل كل مائة أيضا من يقوم بأمور الدين ، وإنما المراد بالذكر من انقضت المائة ، وهو حي عالم مشهور مشار إليه . هـ.

وهذا الذي نحا إليه الإمام ابن الأثير ، هو الذي فسر به النووي حديث : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين..الخ" . إذ قال ، حسبما نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين مائتين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ، ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد ، ولا يلزم أن يكون مجتمعين في بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار ، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد ، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض ، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم ، أولا ، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة، فإذا انقرضوا جاء أمر الله . انتهى ملخصا مع زيادة فيه.

قال الحافظ إثره: ونظير ما نبه عليه ، ماحمل عليه بعض الأيمة حديث " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ،" أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة ، واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه ، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها، لا ينحصر في نوع من أنواع الخير ، ولايلزم أن تكون جميع خصال الخير كلها في شخص واحد ، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى، باتصافه بجميع صفات الخير ، وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه . وأما من جاء بعده، فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة ، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل فعلى هذا ، كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة ، هو المراد ، سواء تعدد أم لا. هـ.

زاد في المعيار ، إثر كلام ابن الأثير مالفظه:

قيل : القرون كلها إذا استقرأتها بالنسبة إلى ملوكها وعلمائها في كل قطر ، لا يخلو أول كل قرن من بركة في العلماء أو الملوك، لما أجرى الله العادة أن كل قرن فيه خير ، وخيره يغلب شره . وقد شاهدنا من ذلك رأس القرن التاسع، من الله على أهل إفريقية بأمير المؤمنين المتوكل على الله ، القائم بأمر الله المجاهد في سبيل الله ، أبي فارس ، عبد العزيز ابن الخليفة أبي العباس، ابن الأمراء الراشدين الحفصيين ، فقطع الله به أهل الزيغ والفساد ثم أفاض في

القرآن دستور الخالق لإصلاح الخلق واقعية التشريع القرآني

■ إعداد الأستاذ عثمان بنخضراء

■ العطاء الفياض للقرآن الكريم والذي يشمل كل مكان ويمتد عبر كل زمان قد أنهى إليه كل تشريع وأودعه نهضة وناط به كل سعادة إذ « القرآن دستور الخالق لإصلاح الخلق».

فالمؤمن يحرص على أن تكون حياته على هدى من القرآن قولا وعملا ، وأن يكون موصولا بعصره ، يقدم للحياة هديا قرآنيا يعالج مشكلاتها الواقعية ويهدي خطاها في الحياة ويرتقي بها إلى أوج الكمال.

فالقرآن الكريم دستور الإسلام شرع للبشرية كلها نظاما عادلا كاملا غير مسبوق ولا ملحوق فهو في الوقت الذي يرفع فيه روح الانسان ويكرمه ويأخذه بمبادئ أخلاقية مثالية، لا يغفل أثر الواقعيات المادية في حياته ويضمن شرائعه مزاجا متناسقا من المعنويات والماديات ومن التوجيهات الروحية والضمانات القانونية وصدق الله العظيم « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم».

فهو دستور الحياة المثالية للفرد والأمة معا . ودائرة التنزيل قد وسعت العالم بأسره وما ضاقت عن شيء منه . إن القرآن العظيم هو الدائرة التي تشع منها أضواء الهدي العقائدي والهدي التشريعي والهدي الأخلاقي وهو دائرة النور والهداية التي تكفلت بإصلاح الأمة جملة وتفصيلا .

وقد تناول العلماء نشأة تفسير القرآن وتاريخه ومعنى التفسير في اللغة والاصطلاح والتفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومعنى التفسير الوضعي وأنواعه يقول الدكتور إبراهيم الدسوقي خميس أستاذ تفسير القرآن وعلوم بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة.

« إن علماء المسلمين السابقين عنوا عناية فائقة بالقرآن الكريم حيث شهد بذلك تراثهم المجيد الذي تزخر به المكتبة الإسلامية... ويمضي قائلا:« لذا يجب علينا نحن علماء هذا العصر أن نصوغ حياتنا في ضوء القرآن الكريم وأن يكون التأليف ملائما لما يحتاج إليه عصرهم حتى يتحقق لأمة الإسلام العز والتقدم والرخاء ... ويقول أيضا: « إن القرآن الكريم هو دستور الخالق لإصلاح الخلق».

وقانون السماء لهداية الأرض أنهى إليه كل تشريع وأودعه كل نهضة وناط به كل سعادة، وهو حجة الرسول وروايته الكبرى يقوم في الدنيا شاهدا برسالته ناطقا بنبوته دليلا على صدقه وامانته، وهو ملاذ الدين الأعلى يستند إليه الإسلام في عقائده وعباداته وحكمه واحكامه وآدابه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه ثم يمضي قائلا « هو أولا وأخيرا القوة المحولة التي غيرت صورة العالم ونقلت حدود الممالك وحولت مجرى التاريخ وأنقذت الإنسانية الحائرة ، فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا . لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابته الأبرار ومن سلف الأمة وخلفها الأخيار جميعا إلى يوم الناس هذا ، وإلى يوم الدين.

ولقد اتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه ، وثالثه إلى كتابته ورسمه ورابعة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك ومن ثم فهو ليس مجرد ديانة كالمفهوم من الكلمة عند الغربيين ومن نحا نحوهم ، بل هو منهاج كامل للحياة البشرية بكل مقوماتها في عالم الروح أو عالم المادة، وفي ضمير الفرد أو محيط الجماعة ، ما يختصر بالمشاعر الفردية أو بنظام الحكم والدولة، وفيها يتعلق بالعبادات والمعاملات اجتماعية كانت أم اقتصادية أم سياسية . إننا أينما اتجهنا بنصوص هذه الشريعة الإسلامية العظيمة وجدنا الواقعية متمثلة فيها، سواء في مواقع العبادات أو المعاملات أو الأخلاقيات، وهذه الواقعية تجعل من هذه النصوص برنامج عمل واضح ، ومنهاج حياة كامل ودستور أخلاق رصين. فالتشريع القرآني من أين آتيته أطلت عليه الواقعية . إن اتجهت به إلى الحياة وجدت واقعية تتجلى في سهولة التطبيق ، لأنه لا يرتفع على النفس ولا يعجزها، كما أنه لا يستعصي على التنفيذ ولا يمتنع لأن الله تعالى أودع فيه من السهولة واليسر ما جعله ملائما للنفوس ،مناسبا للحياة.

ولو أخذت أي قطاع من قطاعات التشريع القرآني وحاولت أن تدرس الواقعية فيه لوجدتها متنوعة. خذ مثلا ذلك القطاع في المعاملات المادية ولنقرأ قول الله سبحانه وتعالى « يأيها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل، سنرى تشريعا واقعيا ، واضحا ، محددا ، مضبوطا ، سهل التنفيذ والتطبيق. فكتابة الديون حيطة من طوارئ الموت، ومن آفات النفوس ، ومن أمر ميسور لا يكلفنا أكثر من ورقة وكاتب ، واختيار الكاتب العادل أساس واقعي حتى لا يحيف أو يظلم فيما يكتب ويسجل ، وتمتد الواقعية مع الآية فتأمر الكاتب أمرا صريحا بأن يكتب ما يسمعه من المدني الذي عليه الحق ، لأنه المنتفع بالدين، وأنه ليستحيي أن يجور أو يزيف أمام صاحب الدين.

كما ترى الواقعية ماثلة في استجابة المشاعر بالنداء الكريم في قوله تعالى : « يأيها الذين ءامنوا، وذلك ليتعامل كلا الطرفين في رحاب ذلك الإيمان وتجد الواقعية أيضا في تحذير المملي من الخداع.

« ليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا»

وهذا تخويف وتحذير واستنارة لمشاعر الصدق المتحرج عن الجور، ذلك الشعور الذي تنشئه التقوى ، وهي مراقبة الله عز وجل ومتى سادت التقوى سادت الثقة لكن المدين قد يكون فاقدا لأهلية الإملاء فما الحكم حينئذ؟ ما الحكم فيها لو كان سفيها لا يضبط أو ضعيفا لا يقدر. هنا ينوب عنه وليه نيابة عدل يتقي الله فيها ثم يمضي لأنه مع خطة التعامل الواقعي المضبوط فتأمر بالإشهاد على العقد، إشهاد رجلين أو رجل وامرأتين عند تعذر الرجلين. الرجلان كاتبان للشهادة في المعاملات المالية. والمرأة لا تكفي وكذال المرأتان بل لابد من رجل وامرأتين. وقد عللت الآية الكريمة ذلك ... أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ...»

فالمسألة ترجع إلى الذاكرة وإلى الضبط. ذاكرة الرجل أقوى وضبطه أدق في هذه الأمور . وذاكرة المرأة أضعف لأن مزاجها عاطفي، وأيضا فلأن للرجل خبرة في هذه المجالات ليست للمرأة. وقد يكتفي بالمرأة حيث لا يكتفي بالرجل في المسائل التي لايعرفها الرجل وتختص بها المرأة كالشهادة على الإرضاع. والحيض. والحمل والعدة والبكارة ويحذرنا الحق سبحانه من إهمال الكتابة مهما قل الدين: « ولا تسأموا أن تكتبوه، لأنه أنفى للريب وأقطع للشك وأعدل عند الله تعالى. فالإسلام يقيم نظامه على أساس حساسية الضمير المراقب لله تعالى في السر والعلن. وعلى أساس آخر هو التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وصدق الله العظيم « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا « لقد أراد الله تعالى أن يتم على البشرية نعمته وأن يكمل لها دينها بنفي ما علق بالأذهان من التحريف والانحراف عن الدين الحق فارتضى لهم خاتم الرسل محمدا رسول الله ورسالة الإسلام آخر الرسالات وجعل هذا الدين الإسلامي كاملا عقيدة وشريعة ظاهرا على الأديان كلها وأنزل القرآن الكريم بالحق مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة وشاهدا بصحة تلك الكتب ورقيبا عليها وحافظا لما فيها من أصول الشرائع ومؤتمنا عليها . قال تعالى «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه « .

الانغماس في العبودية

■ إعداد الأستاذ:عبد الغني الفقير

■ كمال العبادة: أيها الأخ المؤمن ، إذا وقفت للصلاة فأنت في حضرة الله عز جل، ويجب أن تكون عبادتك خالصة له، ولتخلص عبادتك يجب أن يخلص قلبك وفكرك وعقلك.

كان عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) إذا سئل كيف تفعل إذا دخلت إلى الصلاة ؟ يقول:

« إذا دخلت إلى الصلاة أصلي وكأن ملك الموت وراء ظهري ، وكأن الجنة عن يميني ، وكأن النار عن شمالي ، وكأن الصراط منصوب تحت قدمي ، وكأني واقف أمام عرش الله، فإذا فرغت من الصلاة لا أدري أقبلها الله أم لا .

وهذا أحد الصحابة (رضي الله عنه) أصيبت رجله بالأكلة فقضى الأطباء بقطع رجله قبل أن ينتقل التسمم إلى باقي جسمه أراد الطبيب أن يسقيه الخمر لكي لا يشعر بالألم، فلم يكن ثمة بنج في تلك الأيام .

قال الطبيب : ولم لا ولا وسيلة سواها لكي نتمكن من إنجاز ذلك دون أن تحس بآلام البتر .

قال الصحابي : إن الله لم يجعل شفاء الناس فيما حرمه عليهم، احتار الطبيب بالأمر ، فلابد من البتر وإلا مات الرجل ، وأخبرت زوجة الصحابي الطبيب ومن معه بأمر عجيب فقالت أتركوه ، فإذا دخل في الصلاة افعلوا به ما شئتم ، امر لا يصدق بسهولة، ولكن لم يكن ثمة وسيلة يلجأون إليها ، فانتظروا ، وعندما بدء الرجل الصلاة ، جاءوا بالمناشر وقطعوا رجله، وكووا موضع القطع بالزيت المغلى ثم لفوها وهو يصلي ، عندما انتهى من الصلاة وسلم نظر فرأي مافعلوا ، فسأل متى فعلتم كل هذا؟

قالوا فعلنا ذلك وأنت تصلي ، فكيف لم تشعر بشيء مما فعلنا؟

فقال الصحابي الجليل : (رضي الله عنه) كيف أكون مع الله وأشعر بمن سواه؟

هكذا يكون الانغماس في العبودية « كيف أكون مع الله وأشعر بمن سواه؟

وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله جاء به المامون إلى مجلسه ليتناظر مع زعماء المعتزلة فلم يقدروا عليه بالمناظرة، فحاول المأمون أن يستميله إلى ذلك بالحسنى ، فعجز عن ذلك ، فأمر به أن يجلد امام تلاميذته في مكان عام عساه يخضع ويخاف تلاميذه عندما يرون ما حل بقدوتهم.

جاءوا بأضخم جلاد وأقوى سوط لديهم، وعروا الإمام من ملابسه وهو رجل كبير السن ، ويبدء الجلد حتى يغيب الإمام عن الوعي وتلاميذه يبكون من حوله غير قادرين على فعل شيء ، فحملوه إلى المنزل فلم يفق إلا في اليوم التالي ، فكان أول سؤال يسأله: أصليتم العصر؟ ظنا منه أنه مازال في نفس اليوم

قال تلاميذه : أخبرنا فقد كنا نراك تضرب ونحن نبكي من أجلك وانت مبتسم كأنك لا تحس بشيء ، فكيف رد الإمام عليهم؟

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "انتم كنتم ترون يد الجلاد . أما انا فكنت أشعر بيد رب العباد "

وهذا هو الانغماس في العبودية ، أنك عندما تكون مع الله لا تشعر بأحد سواه.

اللهم فرغ قلوبنا لطاعتك واقبلنا في عبادك الصالحين اللهم افرغ قلوبنا إلا منك، ونفوسنا إلا من محبتك، وجوارحنا إلا من طاعتك والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

التفسير الإجمالي لسورة يونس

■ سورة يونس مكية وعدد آياتها تسع ومائة ، وهي كسائر السور المكية تناولت جانب العقيدة في مفهومها الواسع ، ثم تميزت بطابع خاص هو إثبات مسألة الوحي والنبوة ومسألة البعث والجزاء. كما ركزت على جانب التربية الروحية من الإيمان بالله واليوم الآخر والكتب المنزلة ، والرسل الذين بعثهم الله لهداية الإنسانية، وقد نزلت سورة يونس بعد سورة الإسراء. وسميت بسورة "يونس" وهو اسم لنبي الله مع أنها في مضمونها العام تطرقت إلى أحداث متعلقة بنبي الله " نوح " ونبي الله "موسى " وليس بنبي الله يونس وحده . عليهم وعلى رسولنا الصلاة والسلام. وحتى في سرد قصة يونس. عليه السلام في هذه السورة لم تتميز بخصوصية معينة ،. ومن تم يصبح السبب الوحيد لتسمية السورة (والله أعلم) هو المقارنة بين قوم يونس عليه السلام وفرعون (عدو الله) وأتباعه إذ أنجى الله تعالى قوم يونس وألحق العذاب بقوم فرعون.

أما المضمون العام لهذه السورة فهو لايخرج عن ترسيخ العلاقة والصلة بين الخالق سبحانه والمخلوق بإقامات منوعة ومتوالية وذلك بذكر كيفية استقبال المشركين للوحي وللقرآن ، ويعرض للمشاهد الكونية التي تتجلى من خلالها حقيقة الربوبية والألوهية ، ولمشاهد القيامة وأحوال البشر في مواجهتها ثم التذكير بالمصير الذي حل بالأمم الغابرة ، وهذه المسائل ستتضح من خلال تقسيمنا للسورة إلى أفكار عامة:

الفكرة العامة الأولى من سورة يونس: من قول الله تعالى من بداية سورة يونس « الر. تلك آيات الكتاب الحكيم1 » إلى قوله الله تعالى « والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم25».

ويشمل هذا المقطع تنبيه الغافل إلى تدبرآيات الله في صفحة الكون، في السماء والأرض وفي الشمس والقمر والليل والنهار لينتقل السياق. بعد إبراز هذه الأدلة الجلية والتي لا يستطيع أحد أن ينكرها . إلى استنكار لذلك التعجب الذي طرحه الناس في رفضهم لدعوة الرسل ، وكيف يكون الرسول من الإنسان وليس من الملائكة .. كما تناول هذا المقطع القضية الأساسية الكبرى في العقيدة قضية الدعوة إلى الإقرار بوجود الله وتوحيده وعبادته والإيمان بصفاته واستوائه على العرش وتدبيره أمر الخلائق والكون بما يتفق مع حكمته وعلمه: فيقدر أمر الكائنات وينصف الخلائق من الحق والعمل الصالح ، ويجازي أهل الباطل والضلال والفساد الذين أبدوا في عهد نزول الوحي الإلهي رغبات غريبة للتهرب من الحقيقة ومحاولة التشكيك في الشريعة . مع أن الفطرة الإنسانية الأصيلة في جميع البشر تدل على الإقرار بوجود الله الواحد ذي السلطان الغيبي المطلق والتصرف الشامل في الكون والانسان، والرحمة والشدة والنفع والضر، ولو استمرت هذه الفطرة على مسارها لكان

■ إعداد الأستاذ محمد المهدي بوزيد

الإنسان موحدا لله عابدا له، لكن الناس اختلفوا في ذلك فمنهم المؤمن الذي يشكر الله على أفضاله ونعمه الكثيرة ومنهم الكافر أو المشرك الذي يجحد نعمة الله ويتنكر للمعروف وينسى فضل الله عليه ، ويتشبث بالحياة الدنيا التي ليس لها قيمة عند الله، بل إنها معرضة للتلف والزوال في أي وقت وحين...

2. الفكرة العامة الثانية من سورة يونس: من قوله سبحانه وتعالى:« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون26» إلى قوله تعالى:« متاع في الدنيا . ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون70».

إذا كان المقطع السابق قد انتهى بتوضيح دور الفطرة الإنسانية في الدعوة إلى توحيد الله وتصديق الرسول، واليقين باليوم الآخر ؛ انتقل السياق في هذا المقطع ليتحدث عن لمسات وجدانية متتابعة تبتدئ بالترغيب في الجنة وبيان من أهم أصحاب التأشيرة للدخول إليها. والترهيب من النار المهيأة للذين أبوا أن يدخلوا إلى الجنة بعد إثبات الحجة عليهم مع كونهم يقرون بوجود الله ولكنهم لا يعتقدون بوحدانيته سبحانه؛ ولذلك طرح الله تعالى خمسة إشكاليات « قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ومن يخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون، وبعد نزع الأجوبة الصريحة من المشركين انتقل بهم السياق القرآني إلى إعجاز شركائهم أن تكون لهم مكانة يوم البعث، وإعجازهم أن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن ماداموا يرمونه بأنه مفترى ، مع تهديدهم وإنذارهم بما سيحصل يوم البعث في موقف الحساب والجزاء عندما يقدرون أنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا مدة يسيرة، أما التنبيه الموجه إلى هؤلاء الجاحدين أنهم لو آمنوا بالقرآن ودرسوه لوجدوه: موعظة حسنة من عند الله تعالى يجمع بين الترغيب والترهيب ، وبين الحث على فعل الحسن وترك القبيح، ولعلموا أنه شفاء لما في القلوب من الشبهات والشكوك، والنفاق والكفر وسوء الاعتقاد ، ثم إن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين خاصة ينجيهم من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان ، ويبعدهم عن النيران ويرقى بهم إلى درجات الجنان ، وهؤلاء هم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وذلك لأنهم آمنوا حق الإيمان وكانوا يتقون ، وهؤلاء هم الذين أحسنوا في الدنيا فلهم الحسنى في الآخرة وزيادة...

وفي نهاية هذا المقطع يثبت القرآن الكريم عظمة الله تعالى بأدلة مختلفة فكان لابد من الإنكار على المشركين وغيرهم الذين ادعوا أن لله تعالى ولدا «... سبحانه هو الغني له مافي السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون»

الفكرة العامة الثالثة من سورة يونس: من قوله « واتل عليهم نوح إذ قال لقومه ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت . فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة. ثم أفضوا إلي ولا تنظرون 71» إلى قوله تعالى: « ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك. حقا علينا ننج المؤمنين103».

هذا المقطع من السورة يتحدث عن قصص بعض الأنبياء الذين جاهدوا في سبيل الله وصبروا على إيذاء أقوامهم، وكان أولهم هو نبي الله نوح دعا قومه إلى توحيد الله من غير أجر ولا مقابل فكذبوه وآذوه فأنجاه الله والمؤمنين معه ثم أغرق المكذبين بالطوفان ، واستمر هذا التكذيب للأنبياء إلى أن بعث الله نبيه موسى وأخاه هارون إلى فرعون الطاغية الذي أهلكه الله وجنده بالغرق ، وذكرت الآيات أن فرعون آمن حيث لاينفع الإيمان وأنه تاب إلى الله حيث لا تنفع التوبة ، وأن الله تعالى أنجى بدنه بعد الغرق ليكون عبرة للمعتبرين.

ثم وجه الخطاب للنبي. صلى الله عليه وسلم. والمراد به سواه فحشا وكلا أن يكون رسول الله يشك في القرآن أو في دين الله المنزل عليه، ولكن المقصود هم الدعاة والذين يتولوا أمر هذا الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى ذلك أنه لا ينبغي أن يقع شك في صدق النبوة والقرآن ونزول الشريعة من طرف علماء أهل الكتاب وخاصة أصحاب التوراة والإنجيل.

ثم تناول هذا المقطع القرآني من السورة قصة نبي الله يونس عليه السلام. الذي سميت السورة باسمه . مع قومه الذين تابوا إلى الله وتضرعوا إليه لما رأوا أمارات العذاب،..

فرحمهم الله تعالى وتقبل منهم إيمانهم وكشف عنهم العذاب، ومتعهم إلى أجل .. خلافا لقوم فرعون الذين تمكن منهم العذاب والفرق بين القومين أن أصحاب يونس آمنوا قبل أن يلحقهم وفرعون لم يؤمن حتى لحقه ، وفي آخر المقطع وعد الله تعالى بأن نجاة الرسل والمؤمنين هو حق عليه سبحانه.

4. الفكرة العامة الرابعة في سورة يونس : من قوله تعالى « قل ياأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم . وأمرت أن أكون من المؤمنين 104» إلى قوله تعالى: « واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين 109» آخر سورة يونس.

هذه خاتمة سورة يونس وهي عبارة عن خطاب مختصر للناس أجمعين إلى يوم القيامة يشمل الأمر بالاستمساك بشريعة الله وبإعلان دعوة التوحيد ، والصبر على تحمل الأذى في سبيل الله حتى يأتي الفرج ويحكم الله وهو خير الحاكمين....

انتهت سورة يونس

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1091
السنة38
الجمعة 13 شوال 1425 هـ الموافق
26 نونبر 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1091 الجمعة 13 شوال 1425 هـ .الموافق 26 نونبر 2004م

المنهج الاستقرائي في البحث والتدريس للعلوم الإسلامية...

■ إعداد الأستاذ: عبد الله اكديرة

أخي الحبيب، السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد.

أصررت على أن (الاستقراء) منهج في البحث والتدريس لم يعرفه الناس إلا عن فرنسيس بيكون"، وأوردت في احتجاجك وحجتك تعريفا استقيته من (الموسوعة العربية الميسرة) يقول: " الاستقراء استدلال منطقي يسير من الأمثلة الجزئية إلى نتيجة عامة. وهو يقابل (الاستنباط) الذي يسير الاستدلال فيه من مقدمة عامة إلى نتيجة أخص منها "وفرنسيس بيكون" أول مبتكر للطريقة الاستقرائية، و(أرسطو) أول مبتكر للطريقة الاستنباطية، والاستقراء وسيلة العلوم الطبيعية، لأنه قائم على مشاهدة الجزئيات بالحس توصلا إلى القوانين العامة..ونتيجة الاستقراء ليست يقينية كنتيجة الاستنباط، فهي صادقة بدرجة معينة من الاحتمال".

والاستنباط. كما أكدت مشكورا عن نفس مصدرك. هو: "في المنطق استدلال نتائج من مقدمات بطريقة قياسية، تجعل صدق النتيجة محتوما، مادامت المقدمات صادقة، وذلك لأن النتيجة متضمنة في المقدمات، والاستنباط يبرزها. والاستنباط منهج العلوم الرياضية بعكس الاستقراء الذي هو منهج العلوم التجريبية" وخلصت من تعريفيك إلى أن المنهجين لايتفقان وروح التعاليم الشرعية الإسلامية، في كل موادها، وزدت فجزمت بأن تلك المواد لايصلح لها إلا الإلقاء والتلقين..

وفيما يلي من سطور هذه الرسالة سأحاول أن أشير إلى رؤية واضحة، نستشرق منها معا إلى آفاق منهج بحث وتدريس للعلوم الإسلامية، يراعي خواصها ومميزاتها، وينطلق من أسسها نحو تحقيق أهدافها..

ولابد قبل ذلك من أن أتفق معك على مفهوم مصطلح (المنهج) كما أعنيه في رسالتي وإشارتي، بكل إيجاز ووضوح وبساطة: "إنه كل ماتقدمه المؤسسة التربوية التعليمية للمتربي المتعلم... وهو أيضا جميع الخطوات ثم المراحل التي يقطعها المعلم المربي مع متعلمه ومتربيه نحو تحقيق الأهداف التي حددها لتعليمه وتربيته منذ بداية العملية التربوية التعليمية إلى نهايتها..."

وينطلق مفهوم المنهج من نظرة الإسلام المستمدة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة المسلمة التي لا تجتمع على ضلالة..

وأصحاب منهج الاستنباط اعتبروا العقل الإنساني مصدرا وحيدا للمعرفة، وذلك لاعتمادهم على العقل في استنباط الحقائق واستنتاجها، على مراحل حدوها.

وأما أصحاب منهج الاستقراء فقد اعتمدوا الملاحظة، لأنهم يرون مصدر المعرفة مرتكزا على الحواس، فحددوا مراحل بحثهم عن المعرفة في الاستقراء..

وهناك أصحاب منهج ثالث، اختاروا الاعتماد على العقل متفاعلا مع الملاحظة الحسية مصدرا للمعرفة، وسموا منهجهم: (المنهج البنائي)، وحددوا له مراحل توصلهم إلى مايهدفون إليه من معرفة.

وبمقارنة عابرة بين المذاهب الثلاثة، نخلص إلى مايلي:

1. أصحاب المنهج الاستنباطي: ينطلقون من العموم إلى الخصوص، ومن الكل إلى الجزء، ومن البديهيات إلى النتائج...

ومراحل عملهم في البحث والدرس هي:

أ. الحفز: (وهي مرحلة مشتركة بين المناهج الثلاثة).

ب. فهم المعطيات العامة واستيعابها

جـ. تحليل العناصر والمعاني والأحكام والنصوص...

د. الاستنتاج.

هـ. التطبيق.

و. التعميم.

وبودي لو أسألك أخي الكريم: أي هذه المراحل لاتصلح. منفردة ومجتمعة. أن تكون موظفة للبحث في العلوم الإسلامية. جلها أو كلها. وتدريبها؟

2 الاستقرائيون ينطلقون من ملاحظة الأجزاء معتمدين على الحواس، ومراحلهم في ذلك هي:

أ. الحفز.

ب. الملاحظة.

جـ. التجربة.

د. الاستنتاج.

هـ. التطبيق مع التقويم.

و. التعميم

3 وأما الانطلاق عند البنائيين فهو من مشكلة محددة، ومراحلهم لحلها هي:

أ. الحفز.

ب. تحديد المشكلة مرتبطة بمجالها المراد الوصول إلى نتائجها فيه.

جـ. صياغة الفروض.

د. فحص الفروض وتجريبها.

هـ. الاستنتاج.

و. التطبيق.

ز. التعميم.

أخي الفاضل الكريم، أعود فأسألك: ما المانع من استخدام المنهجية الاستقرائية عند البحث والتدريس في العلوم الإسلامية، بمراحلها السابقة، بنفس الترتيب الوارد؟!

إن علوم الإسلام ميزتها الأساس أنها منطقية، ويمكن إخضاعها للتجريب، فهي جميعها علم وعمل.

وقد جربت من لدن المدرسين المسلمين منذ أن عرفوها، كما أخذوها عن مستخدمها الأول عند الغربيين، المربي الألماني (جون فريدريك هربارت:1776. 1841م) بنفس المنهج الذي نهجه، وهذا عرض موجز لمراحله:

1. التمهيد :

أ. مراجعة الأفكار والمعارف والخبرات السابقة، المرتبطة بموضوع الدرس الجديد (البحث الجديد).

2. تجميعها في مركز الانتباه.

3. إعداد ذهن المتعلم وجذب انتباهه لمحتويات الدرس الجديد (مشروع البحث).

ب. العرض أو التوضيح:

1. عرض المعلومات والأفكار والخبرات الجديدة مجزأة.

2. الاستعانة بشتى الوسائل الممكنة والمناسبة للشرح والتفهيم والتوضيح.

3. الاستعانة بالأشياء المحسوسة والخبرات العملية.

4. التدرج من البسيط إلى المركب، والسهل إلى الصعب...

جـ. الربط: بمساعدة المتعلم على المقارنة وإدراك أوجه الشبه والارتباط بين الحقائق والمعارف المدروسة، وبينها وبين المعارف والخبرات السابقة.

5. التنظيم أو التعميم:

1. المراجعة.

2. التخليص.

3. الاستنتاج.

4. صوغ القاعدة أو القواعد العامة.

هـ. التطبيق:

1. حل المشاكل.

2. التمارين.

3. إبداء المهارات.

هذه الخطوات الرئيسية التي نادى بها (هربات) في تدريس جميع المواد الدراسية، التي تسير وفق مفهومه للتفكير الإنساني، ولعملية التعلم، ولعملية الترابط والتداعي التي تمثل صلب نظريته في التعلم.. فما الذي يخرج بمواد العلوم الإسلامية عن هذا المفهوم؟

. أليس الاستقراء نوعا من الاستدلال، باستنتاج قضية أو قضايا من أخرى؟

. أو بالوصول إلى حكم جديد مستنتج من أحكام سابقة، لازم لها ومتوقف عليها؟

. أليس إذا انعدم الارتباط المنطقي بين المقدمات والنتائج انعدم الاستدلال؟

. أليس الاستقراء استدلالا صاعدا يبتدئ من الجزئيات إلى الأحكام الكلية؟

. أليست نتيجة الاستقراء أعم من أية مقدمة من مقدماته؟

. أليس يعتمد الاستقراء على مايجري في الكون من حوادث، ومابين الأشياء من روابط؟

. أليس يؤدي الاستقراء إلى حقائق عامة لم تكن معروفة كليا أو جزئيا؟

. وأحيلك يا أخي على كتب الأصول والفروع، والمنطق والكلام.. قديمها وحديثها، وأنا واثق من أنك لابد ستجد قاعدة عامة ينصها. أو تستخلصها بنفسك. وخصوصا من كتب المقاصد الشرعية، وهي: لابد لنجاح أي استقراء من سلوك المراحل التالية بترتيب:

أ. جمع أكبر عدد من الجزئيات، وعرضها بتفصيل ووضوح، وضرب الأمثال المختلفة المتنوعة، وفحصها بدقة وعناية..

ب. الأخذ بأيدي الدارسين والمتعلمين حتى يروا بأنفسهم وجوه الاشتراك والتشابه، ووجوه الاختلاف والتباين بينها...

جـ. حثهم على استنتاج الحقيقة العامة بأنفسهم.

د. التعبير عنها بعبارة من صياغتهم، دقيقة موجزة شاملة، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ولاشك يا أخي أنك ستجد أيضا أن للاستقراء عند الباحثين العلماء المعلمين من المسلمين مرحلتين هامتين:

الملاحظة والتجربة، فالعلم بالحقائق يكون إما بمشاهدتها على ما هي عليه في الطبيعة، وهي الملاحظة البحتة، أو بمشاهدتها في ظروف يهيؤها الإنسان، ويتصرف فيها حسب إرادته، وهذه هي التجربة، أو الأخذ بما يعرفه الغير عنها، وهي شهادة الغير، المبنية على ملاحظته وذكائه.

2. مرحلة الفروض والنظريات والقوانين، لأن الباحث إذا انتهى من دور الملاحظة. بحتة كانت، أو مصاحبة للتجربة. وتوفرت لديه الأمثلة الكافية في الموضوع الذي يبحث فيه، دخل في دور آخر من أدوار الاستقراء، وهو دور الفروض العلمية والنظريات والقوانين، لأن العقل بعد ملاحظته للأشياء يحاول بطبعه وضع تفسير لها.

وهذا ما حدا بالمربين المسلمين المحدثين إلى أن يسطروا توجيهات دقيقة حول تدريس العلوم الاسلامية بالمنهج التربوي التعليمي القائم على الاستقراء، وأهمها في رأيي:

أ. الانطلاق من الملاحظة وجمع المعلومات من قبل المتعلمين والدارسين..

ب. تكليفهم أيضا. بتكليف ومراقبة من الأستاذ أو المشرف على البحث. بمقابلة الوقائع ومقارنتها وتصنيفها وشرحها...

جـ -التوصل إلى تعميمات ونتائج يختبرونها ثم يصوغون نتائج ماتوصلوا إليه بأنفسهم...

د. يبرر الدارس ما اكتسبه من معارف ومهارات جديدة بعبارات سليمة، وبمنطق معقول.

هـ. يتخطى ما كان يعرف إلى مستوى أعلى وأعم وأدق وأكثر قابلية للتجريب والتطبيق...

و. يبين أنه فهم أن ما اكتسبه من علم جديد يستجيب إلى حاجة ملموسة له، وأنه يستفيد منه استفادة وظيفية حقيقية مفهومة ومقبولة لديه.

ز. أن يكون العمل الفردي والجماعي خلال بناء جميع مراحل الدرس. البحث. متكاملين لامتناقضين.

ح. العمل على أن يجري كل دارس. باحث. تجربته الخاصة.

ط. إذا لم يمكن ذلك يجب تعميم التجربة بين مجموعة الدرس. البحث كلها أو تقسيم المجموعة إلى زمر، بحيث تصبح التجارب عملا مشتركا موحدا يشكل معرفة جديدة تسمح بتقدم جديد.

ي. كل باحث "دارس" يستجيب لتجارب رفاقه وزملائه ويستفيد منها، فترتفع المجموعة كلها بكاملها إلى مستوى جديد بفضل عمل كل فرد في المجموعة.

س. تشترك البيئة كلها بما فيها المؤسسات العلمية وكل مكونات الأسرة والمجتمع في إعداد المناسبات والفرص المتنوعة والغنية لتزويد الدارسين. الباحثين بما يحتاجون إليه من المعطيات، ومساعدتهم على الدرس والبحث والتجريب والتقدم في سبيل الوصول إلى الهدف المرسوم للبحث والدرس المعلن عنه مسبقا...

ع. تنوع المناسبات والفرص وغناها يهيئ السبل إلى تمييز عدة فئات من الأوضاع التي تتناسب معها استجابات تربوية إسلامية مستقاة من صميم الواقع المعيش للباحث. الدارس، ومنها:

1. مناسبات وفرص تطرح فيها أسئلة وتشخيصات ووقائع وسير بعيدة عن الاختلاق والافتعال.. مناسبات للتعاون العام. مناسبات المطالبة بالحقوق والواجبات في المجالات العامة والخاصة. مسائل ووقائع من المعاملات المجتمعية والاقتصادية وغيرها مايحل منها ومايحرم. مناسبات تقتضي إبداء الحكم الشرعي الفاصل فيها: مسائل في التركات والفرائض مثلا..الخ.

ألا ترى معي أيها الأخ الحبيب أن علومنا الإسلامية في جميع معاهدنا بجميع مستوياتها أحوج إلى منهج الاستقراء وغيره؟!!!

بل إن اختيارنا لتسميتها جميعا بالتربية الإسلامية. وهي تسمية موفقة. إنما هي لأننا نرغب ألا يكون تأثيرها قاصرا على معلومات تحفظ لاجتياز الامتحان ثم تتلاشى من الأذهان، ولايبقى لها أثر في القلوب والسلوك ...

2. ولهذا فإن ظروف الحياة المدرسية بجميع مستوياتها ومختلف مجالاتها تقتضي أن تكون العلوم الإسلامية المدرسة بها تربية إسلامية قائمة على تجارب وأنشطة حية مستقاة من نفس مجال الحياة المدرسية كواقع تربوي من المجتمع والحياة وإليهما: بإعداد مشاريع ودراستها. تحضير رحلات وتنفيذها. إعداد عروض وإنجازها وتقويمها.

والغاية من هذه التجارب الواقعية هي أن يكتسب الباحث الدارس المتمدرس معارف وتجارب متنوعة يحتاج إليها في حياته: مصطلحات. مفاهيم. معاملات من صميم الحياة. مبادئ ومواقف مطبقة معيشة في الحاضر والمستقبل ولها رصيدها المضيء من الماضي. وقائع ذات علاقات وطيدة بالمجتمع. بل بالحياة كلها. تترجم إلى أحكام شرعية. أحكام شرعية تضبط تعاملات الواقع حتى لاتهدر الحقوق ولاتضيع الواجبات، ولايستهان بحيوات الناس وأموالهم وكراماتهم....